الكتـــاب الأول

البت مصرية

مصطفى الشافعى

قصص

المجلس الأعلى للثقافة



البت مصرية

مصطفى الشافعى

لجنة الكتاب الأول

ادوار الخراط (مقرراً)
حسين حمودة
حلمى سالم
خيرى شلبى
سمية رمضان
عبد العال الحمامصى
محمد كشيك
مجدى توفيق
يسرى حسان

مدير التحرير
منتصر القفاش

إشراف فنى
هشام نوار

التصميم الأساسى للغلاف للفنان محيى الدين اللباد + أحمد اللباد
لوحة الغلاف : هشام نوار

الكتاب الأول

- ٤٢ -

البت مصرية

قصص

مصطفى الشافعى



٢٠٠٠



إهداء إلى حبين هما حب واحد . جمعتهما فى عنوان واحد .. مجموعة واخدة .. « **البت مصرية** » إلى ابنتى آية ... و ... مصر.

مصطفى الشافعى

تقديم

لكم يسعدنى أن يتاح للقراء ، ما كان متاحًا فقط لمجموعة من الأصدقاء المقربين للكاتب ، ألا وهى المجموعة القصصية لمصطفى الشافعى .

إن هذه المجموعة القصصية تنطوى على جوانب فلسفية وتاريخية وتجارب ذاتية في إطار من الأدب التجريبى . وكإحدى النقاط الأساسية ، التى نستطيع أن نتلمسها ، فى بعض من قصص هذه المجموعة هي طفولة الكاتب التى كانت تتأثر وتدور حول العائلة والمدرسة وذلك قبل ظهور التليفزيون ؛ إنه عالم لا يستطيع شباب اليوم إلا أن يتخيله أو يقرأ عنه أو يسمع به . ولما كنا فى صدد الحديث عن الكاتب وطفولته فإن أكثر ما شد انتباهى ، ولفت نظرى ، هو إمكانية الكاتب لرؤية طفولته ، ومن ثم الكتابة عنها ، بعين الطفل وليس بعقل الراشد ذى الخبرة الحياتية .

كما إننا سنلحظ في بعض قصص هذه المجموعة الحنين الواضح إلي الماضى ، وتحويل هذا الحنين إلى عمل أدبى يعطى لدارسى التاريخ مادة يمكن أن يستشفوا من بين سطورها لمحات من تاريخ مصر في خمسينات وستينات القرن العشرين ؛ والكاتب بذلك يضع ، مرة أخرى ، الأعمال الأدبية فى مركز الريادة والسبق بتوجيه نظر دارسى التاريخ إلى المواضيع ذات الأهمية التاريخية والاجتماعية لتلك الحقبة وكيف كان يراها الطفل ثم المراهق ثم الشاب .

قد يرى البعض أن هذه المجموعة تنتمى إلي المدرسة الواقعية الجديدة ، والتى يوجد لها بمصر أمثلة من الكتاب المعروفين ، وأنا قد لا أشاركهم هذا الرأى ؛ فملامح العمل الذى بين أيديكم تظهر في استخدام الكاتب للبعد النفسى (السيكلوجى) والتجريب مع الفلاش باك ومؤثرات الإيقاع اللغوى مما يجعل القارئ ، فى كثير من الأحيان ، يتوحد مع شخصية القصة وينساب مع عذوبة الكلمات والنقلات الموسيقية الناعمة والشخصيات التى تنبض بالحياة والتى تتفاعل جميعها مع الأحداث لشد انتباه القارئ . ولقد مر بخاطرى ، وأنا أقرأ تلك القصص ، عن علاقة ذلك الإيقاع اللغوى بالمقامات .

وقبل أن أترككم لقراءة هذا العمل أود أن أقول بأن هذه المجموعة تقوم فى أغلبها على تقنية (Technique) الفلاش باك السيكلوجى وهى تقنية أحبطتنى وأرهقتنى ، عندما كنت طالبًا أدرس « بروست Proust » ، وأشعرتنى بعدم الثقة فى هذه التقنية ؛ ولكنى هنا ، وعلي العكس تمامًا ، أجد مشاهد قصيرة محمّلة بالمشاعر تعطى انطباعًا صادقًا بأنك ترى المشهد بأكمله .

ما سبق من ملاحظات وتعليقات على المجموعة القصصية « البت مصرية » لمصطفى الشافعى كانت من أستاذ أدب ليبرالى ، ولكن أغرب الملاحظات وأكثرها مدعاة للحيرة لا يمكن أن تصدر ، بخصوص هذه المجموعة وهذا المؤلف ، من أستاذ ولكنها تكون فقط من الصديق . فمنذ سنة ١٩٧٠ ، جمعتنا ، مصطفي الشافعى وأنا ، صداقة قوية ولصيقة ، فقد عرفته عبر هذه السنين كرجل أعمال بلا أى اهتمامات ظاهرة بالفنون والآداب ، وإذا أخذنا فى الاعتبار قراءاته المتعددة فكلها

كانت خارج هذا المجال ، بل إنى لعلي يقين بأنه لا ولم يقرأ ، ولا يعرف أى شئ ، عن النقد الأدبى من قريب أو من بعيد ، وعلى الرغم من ذلك ومع بداية خمسينات عمر الكاتب تفجرت في الصديق طاقة إبداعية أثمرت ، بلا أى مقدمات ، خلال عامين فقط هذه المجموعة القصصية التى أصابتنى ، لمعرفتى بخلفية الكاتب العلمية والعملية ، بالدهشة والحيرة بل الرهبة .

د. بيتر جران
القاهرة
نوفمبر ٢٠٠٠

د. بيتر جران : أستاذ بجامعة تمبل Temple الأمريكية وله عديد من المؤلفات المترجمة إلى العربية.

البت مصرية

كنت أحتسى فنجانا منزليا من القهوة عندما دق جرس الباب ظهر يوم من أيام عطلة عيد الأضحى ، كان هذا من ستة عشر عاما أو يزيد، عندما أخبرونى أن بالباب عسكرى يريد مقابلتى .

- أفندم .. أى خدمة .

- فيه استدعاء لسيادتك من القسم .

- خير .. .. فيه حاجة .

- الباشا المأمور عايز سعادتك .

- بخصوص .

- أنا عبد المأمور .. .. ما أعرفش الباشا المأمور عايز سعادتك ليه . أنا منتظر سعادتك نروح القسم سوا .

ودخلت إلى حجرتى لأرتدى ملابسى ، وأطمئن زوجتى التى دخلت تهرول خلفى إلى الحجرة .

دلفت إلى حجرة المأمور ، وأنا لا أدرى من أمرى شيئا . كان يتكلم فى التليفون ، وانتظرت واقفا فأشار إلى بالجلوس . جلست وأنا متحير فيما استدعائى .

انتهى المأمور من حديثة التليفونى ونظر إلىّ :

- أؤمر .

- سيادتك اللى تأمر .. .. انتم اللى طالبنى .

- أتعرّف بالاسم .

- المهندس .. .. نائب رئيس

فقاطعنى قائلا :

- دا إحنا بندور عليك من أول يوم العيد .

- خير .. .. اللهم اجعله خير .

- أنت تعرف السيدة / .. ..

قلت متعجبا :

- عمتى .

وانعقد لسانى ، وانطلق عقلى ، ما علاقة عمتى التى تسكن حلوان بقسم العجوزة ؟ .. .. هل ضبطت فى شقة من شقق العجوزة المشبوهة ؟ .. .. الاحتمال ضعيف فسنها تجاوز هذا منذ زمن بعيد .. لكن الأيام دى كل شئ جايز حتى « .. .. » العجايز .. لا .. لا.. عمتى دى خميرة عكننة والشقق دى خميرتها الفرفشة !!!

- شد حيلك .

فى لحظة من الصمم السيكولوجى لم التقط ما قاله المأمور فمددت عنقى ورفعت حاجبىّ واضعا راحتى خلف أذنى طلبا فى التكرار .

- البقاء لله .. .. شد حيلك .. عمة سيادتك توفت فى حادث يوم الوقفة .

بعد لحظات من الصمت ضغط المأمور على جرس بجوار عدد من التليفونات .

- تشرب ليمون .. .. ولانشرب اتنين قوة سوا .

- قهوة .. .. مظبوط .

قلتها بصوت خفيض .. .. فقد أبت الكلمات أن تخرج من حلقى .. لقد كنت أكن لعمتى كل الحب .. .. المفقود .

- اتنين قهوة .. .. واحد مظبوط وواحد بتاعى .. .. من البن بتاعى يا ابن « الشر .. .. »

قالها المأمور للعسكرى الذى حضر لنداء الجرس ، وهو يمد يده ليلتقط مسبحته من على المكتب أمامه ثم أكمل :

- قدر الله وما شاء فعل .. .. كل نفس ذائقة الموت .. .. ولكل أجل كتاب .

وأنهى فاصل المحفوظات بفاصل نشاز ولكن بنبرة صوت توحى بالثقة قائلا :

- ولا تدرى أى واحدة بأى أرض تموت .. ..

ثم مال برأسه وصدره ناحيتى وأسند منكبيه على المكتب أمامه وقال بصوت أعلى من الهمس قليلا :

- المرحومة خبطتها عربية عند سور نادى الزمالك .. ..

ماتت عمتى وهى تقوم بواجبها المقدس .. .. استعراض فترينات الملابس والمكياج .. .. فقد كانت تعتقد أنها تخفى عن الناس خميرة العكننه بملابس لا تناسب سنها وثلاثة أطنان ونصف من المساحيق والبودرة على وجهها .

- يوم الوقفة كان فيه أمم عند السور بيشتروا هدوم العيد و .. .. سبحان الله .. .. عربية جيش مليانه عساكر وماشيه بسرعة .. .. مش عارفين إيه اللى حصل .. .. زى ماتكون العربية قاصدة عمة سيادتك سبحان من له الدوام .. الشهود قالوا إن العسكرى فرمل ، وإلا دى

كانت تبقى مذبحة .. .. العربية خبطت فى لوح قزاز كانت المرحومة بتتفرج عليه .. .. العربية كانت تقريبا وقفت .. .. ولكنها أخذت لوح القزاز وعمتك بينهم .. .. الخبطة ما كانتشى جامدة لكن الجروح سببت نزيف أدى إلى الوفاة .. ..

ماتت عمتى يوم وقفة عرفات .. .. كانت واقفة أمام البوتيكات وظهرها لشارع جامعة الدول العربية .. .. كانت دائما تقول قال الله وقال الرسول ولم أعرف عنها أنها ركعت ركعة فى حياتها .. .. وعندما قيل لها عن الحج قالت قولتها المأثورة « أنا مش وش البهدلة دى » !! الله يرحمك ياعمتى .

- سيادتك بتقول حاجة ؟

- باقول لا إله إلا الله .

- محمد رسول الله .. .. كلنا لها .. .. عايزين سيادتك تتعرف على الجثة وتستلمها من المشرحة .

ثم أخذ المأمور شهيقًا استجلابا لطاقة تعينه على ما يريد الإفصاح عنه ، ثم أسند ذقنه على كفه مستندا بكوعه على المكتب واضعا أصابعه أمام فمه فى دلالة على أنه لا يريد أن ينطق فيما يجب الإفصاح به :

- أنا مش عايزك تفاجأ بالمنظر فى المشرحة .. ..

ثم سكت برهة وانطلق بعدها كبندقية نصف آلية يريد أن يزيح ما جثم على صدره :

- لوح القزاز ذبح عمتك .

بعد التجربة اللعينة بالمشرحة والإجراءات التى لا تنتهى عدت آفلاً إلى منزلى لإبلاغ الأهل بوفاة عمتى والاتفاق على خطة العمل ودور كل فرد .. .. من نشر بالأهرام ، لفتح المدفن ، لحجز قاعة العزاء ، .. إلخ أخذت حماما ساخنا لأمحو توتر الساعات السابقة وأستعد لما أنا مكلف به فى هذا المساء والأيام التالية .. .. ولما كانت عمتى لم تعقب ، وكانت أخر من تفارق الحياة من أولاد جدى ، فإنى كأكبر الأولاد لأكبر الأولاد لجدى سأتحمل النصيب الأوفى من طقوس الأيام التالية سواء رضيت أم لم أرض .

لم أكن راضيا .. .. هذا كان شعورى وأنا أقود سيارتى متجها وزوجتى ، فى نفس الليلة ، لتجهيز شقة عمتى لوافدى الغد ، وإبلاغ الجيران ، والاتفاق مع محل فراشة ومقرئ ، والإقامة بشقة عمتى .. .. حتى تكون السيدة حرم السيد عميد الأسرة الجديد .. .. زوجتى .. .. فى استقبال المعزيات منذ الصباح الباكر عندما أكون أنا .. عميد الأسرة الجديد .. .. أقوم بتشييع جنازة عمتى .

نعم لم أكن راضيا .. .. لأن عمتى أثبتت بكل اقتدار أنها خميرة عكننة فى موتها كما فى حياتها .. .. وما اختلفا .. .. فاليوم كان عيد ميلادى الخامس والثلاثين .. .. زوجتى وأصدقائى المقربون بزوجاتهم قد أعدوا سهرة فى إحدى فنادق الخمس نجوم للاحتفال .. .. لقد منيت النفس بسهرة مع أصدقاء أحبهم ويتبادل، ضحكات من القلب تدغدغ الأعصاب وتذيب التوتر كذوبان الثلج فى كأس الويسكى ، موسيقى هادئة ، وعشاء فاخر يبدأ بالمقبلات وينتهى بالحلو وبينهما تشكيلة بما يجود به البحر علينا من أنواع الفسفور .. .. ذلك الفسفور

لدفع فاتورة حساب العشاء الذى ستقيمه زوجتى على مائدة علاقتنا الزوجية عند عودتنا إلى المنزل .. .. عشاء زوجتى أيضا من النوع الفاخر .. .. يبدأ بالقبلات وينتهى بالحلو وبينهما تشكيلة .. .. على أنغام همهمات بشرية هامسة .

عمتى خميرة العكننة .. .. أبعدتنى عن كل ما منيت به نفسى .. وأمرتنى ، بعد أن سكتت إلى الأبد ، بأن أنظف شقتها ، وأتفق مع محل فراشة ، وأقاول مقرئ ، وأتعشى جبنة وزيتون ولنشون ، وأنام على أريكة فى الصالة بينما شرائط بصوت الشيخ عبد الباسط، أحضرتها زوجتى معنا ، لتصدح فى حجرة نوم عمتى حتى صباح الغد .

كان الطريق إلى حلوان وشقة عمتى طويلا .. .. ظلمة الطريق والقمر يسكب زئبق على سطح النيل وإضاءة الشخوص ذكرتنى بلحظات « الفلاش باك » فى السينما .. .. زيارة المشرحة أجبرتنى للنكوص إلى « فلاش باك » هربا من التجربة الخانقة .. .. الموقف برمته أدار تداعيات العقل إلى نقطة بداية « الفلاش باك ».

أنا طفل قاربت العاشرة من عمرى .. .. كان يوما غريبا .. ذكراه وعقلى كنقش ومسلة .. أخذنى والدى دونا عن أخوتى وأخواتى لزيارة الحديقة اليابانية بحلوان .. .. خرجنا من الحديقة واشترى والدى فاكهة ، سرت متبرما من حرارة الجو وثقل كيس العنب .. .. والدى يتلو علىّ الوصايا العشر بالالتزام بالأدب وحسن السلوك فى بيت عمتى الذى سأزوره لأول مرة بعد انتقالها وزوجها من كفر الدوار إلى حلوان .. .. والدى يصلح هندامى فى مدخل عمارة سكن عمتى .. .. حذائى بنى فى أبيض .. .. شرابى قصير من القطن الأبيض انسحبت مؤخرته إلى داخل

الحذاء .. .. ألبس شورت قصير بأحد جيوبه منديل من القطن كان مكوياً فى الصباح .. .. فى الجيب الأخر عملة مسدسة من ذات القرشين . قميصى من القطن الأبيض ذو أكمام طويلة تغطى الذراعين ، وأزرار بعضها مفتوح .. .. ربط والدى أزرار قميصى حتى الرقبة .. .. ما حول الرقبة يخنقنى .. .. أحاول فك هذا الزرار ولكن أبى ينهرنى بعينيه .. .. وفى محاولة فاشلة تتعارض مع القوانين الطبيعية وعلم الوراثة وأسس الكيمياء حاول والدى أن يصلح ترتيب شعرى بيديه .. .. وعندما دب اليأس فى قلبه ، من إصلاح شعرى ، أخرج قطعة من القطيفة كانت فى جيبه ووضع رجلى على درجة سلم مرتفعة ومسح فرد من حذائى بالقطيفة ثم الفرد الأخر .

أبى مع زوج عمتى فى صالة منزل حلوان .. .. فى صيف حلوان زوج عمتى يلبس روب صوف وطاقية صوف .. .. عمتى تقدم القهوة لوالدى ، وزجاجة « سينالكو » لى .. .. عمتى تظهر وتختفى .. .. زوج عمتى يصمت عند ظهور زوجته .. .. عمتى والخادمة يعدوا السفرة للغذاء .. .. الخادمة صامتة دائما .. .. عمتى تأمر الخادمة بصوت عالى مستفز ودائما فى مواجهاتها وذلك لأن الخادمة صماء بكماء .. عمتى تناديها «يابت يامصرية» .. .. بعد الغداء ذهبت فى قيلولة وأنا أتصفح مجلة الجيل .. .. زوج عمتى انسحب إلى حجرته ليترك الأخ وأخته لشئونهم العائلية المالية .

أيقظنى والدى فقد حان وقت الرحيل عندما بادره زوج عمتى قائلا :

- أنت ح تلحق خطبة جمال عبد الناصر فى البيت .

وهنا تذكر والدى أن جمال عبد الناصر سيلقى خطاب وظهرت الحيرة والتردد على وجهه ونظر إلى ساعته ثم قال :

- دا فاضل نصف ساعة على الخطبة .. .. لا .. .. أنا ح أسمعها هنا .. .. وأنا وحظى يا ألحق القطار يا أخذ تاكسى وأمرى لله .

وبدأ جمال عبد الناصر يلقى خطابه .. .. جر والدى فوتيل إلى جوار الراديو .. .. الراديو فى طول قامتى له أربع أرجل وكله من الخشب وله صديرى من الصوف يقسم الصديرى أقواس من الخشب وفى وسط الصديرى عين تتحرك داخلها أرقام المحطات .. .. جمال عبد الناصر يتكلم ويتكلم .. .. أنا عايز أروح .. .. زوج عمتى نصف نائم .. .. عمتى تتشدق بعصبية فى لبانة وتغرس الإبرة فى صدر وردة لوحة الكنافاه وتضع على وجهها طنين فقط من المساحيق لأننا - حسب قولها - مش غُرب .. .. البت مصرية تقف مستندة على حائط بداية الممر المؤدى من الصالة إلى المطبخ والحمام ، بملامحها الريفية وجمالها الملفت، للمدقق فقط ، وذكاء يتطاير من عينيها ولكنها صماء بكماء ، تنتظر أن ترى شفتى عمتى تتحرك فتطيع الأمر .. .. بدأت أتابع وأفهم ما يقوله عبد الناصر .. .. أنه يتكلم عن الخديوى والبنك الدولى .. .. وضع والدى أذنه على الصديرى الصوف كما لو كان يتسمع النبض الصادر من الراديو .. .. وفجأة لمعت عيناه وضرب قبضته اليمنى فى راحته اليسرى وقال :

- ح يأمم القنال .

قلت وأنا أريد أن أفهم وأتابع :

- يعنى أيه ح يأمم القنال .

فنهرنى بشدة قائلا .

- «إخرس ياله » .

لأول مرة فى حياتى ، وليست الأخيرة ، توجه لى هذه الكلمة بطريقة أو بأخرى .. .. لكم ولى طول البقاء .

وسكت كل من فى الصالة .. .. زوج عمتى نصف نائم أو يتصنع النوم .. .. عمتى لا يهمها فى الأمر شئ فقد استلمت نصيبها من ريع الوقف من والدى وانتهت الزيارة بالنسبة لها .. .. والدى معنا جسديا ولكنه كان فى ميدان المنشية بالأسكندرية .. .. أنا أخرس بالأمر .. .. البت مصرية خرساء بالخلقة .

رفع والدى صوت الراديو ولم تمض ثوانى حتى أعلن الراديو وجمال عبد الناصر :

- باسم الأمة رئيس الجمهورية تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية .

نزل والدى على ركبتيه واحتضن الراديو أخذ يردد :

- إنت أحلى وأجدع صايع فى الدنيا .

وقام والدى ، الوقور جدا الذى خلع الطربوش نهائيا منذ أقل من ثلاث سنوات والذى لا يخرج من المنزل إلا بالبدلة والكرافته ، قام يرقص فى وسط الصالة كرقص الخيول العربية الأصيلة فى رشاقة وقوة رافعا ذراعيه إلى أعلى .. .. الرجل اليمنى إلى أعلى واليسرى على الأرض ضاربا أصابعه الأربعة لكل يد فى راحه ذات اليد مصدرا صوت الإيقاع لتغير الأرجل .. .. انتقل والدى من منشية الإسكندرية إلى آفاق الوجد الرحبة .

غادرنا ، والدى وأنا ، شقة عمتى .. .. عمتى مازالت تتشدق بلبانتها فى عصبيه .. .. أخرج زوج عمتى نفسه ، من غفوتها المصطنعة ، لزوم مراسم وداعنا .. .. البت مصرية واقفة فى مكانها وذكاء عينيها قد ازداد لمعا وعلى وجهها ابتسامة لم أفهمها فى حينها.

أفقت من تداعيات « الفلاش باك » عند منعطف الكورنيش إلى حلوان حيث كازينو استراحة الملك فاروق .. .. زوجتى ، بحسها المرهف وخبرة اكثر من عشر سنين زواج ، إلى جوارى صامتة احتراما لخلوتى الذاتية .. .. تحسسنا طريقنا إلى عمارة سكن المرحومة وكدنا لا نصل إلى غايتنا فالشوارع فد اختلفت معالمها عن سبع سنين خلت عند آخر مرور لى فى تلك الدروب ووفاة زوج عمتى .. .. الفيلات هدمت بأبراج سكنية وإدارية .. .. البقالات التى تحولت إلى سوبر ماركت ذكرتنى بأيام الجامعة وارتياد الكباريهات .. فواكه ، الهاربة من قريتها إلى القاهرة ، التى صبغت شعرها أصفر ولطخت وجهها بالألوان وتحولت فنيا إلى « فيفى حلاوة » .. .. الشوارع لم تكن من قبل بهذا الزحام فى تلك الساعة من الليل .

وصلنا إلى شقة عمتى .. .. باب الشقة مفتوح على استحياء وألوان التليفزيون تتراقص على زجاج الباب .. .. فتحت الباب بتلصص فالتفتت البت مصرية تلقائيا ناحيتى ، والباب المفتوح ، ونظرت إلىّ بدهشة ولعبت عينيها فى مقلتيها ثم نهضت واتجهت إلى المطبخ وأنا فى مكانى لم أحرك شفتاى لأنى لا أعرف بأى لغة أتحدث إليها .. .. دخلت زوجتى وأغلقت الباب فى حين دخلت أنا إلى المطبخ لأبلغ البت مصرية بما حدث ولكنها لم تمهلنى ، فما لبثت أن فتحت فمى حتى

بادرتنى بإشارة إيجاب من رأسها وربتت على كتفى وأشاحت بوجهها عنى .

انتهت أيام العزاء وقمت مع أولاد عمومتى بتصفية تركه عمتى الهزيلة التى سددت بالكاد تكاليف العزاء والنعى بالأهرام وقمنا بإبلاغ صاحب العمارة بأننا سنسلم له الشقة بعد الانتهاء من توزيع أو بيع منقولات عمتى .. .. وبقيت مشكلة لم نجد لها حل .. .. إنها البت مصرية .. .. ما هى بلدها ؟ لا أحد يعرف .. .. هل هى على اتصال بأهلها ؟ لا أحد يعرف .. .. كيف سنعرف منها ؟ لا أحد يعرف .. .. وإذا عرفنا فهل لها مأوى فى قريتها ؟ لا أحد يعرف .. .. تأكيدا لن نتركها تهيم على وجهها فى شوارع القاهرة .. .. ولكن ما الحل ؟ لا أحد يعرف .. .. فى النهاية وبعد كثير من المداولات والجدل وسؤال الجيران آلت البت مصرية ، الصماء البكماء ، لتقيم بمنزل عميد الأسرة الجديد .. منزلى .. عمتى يا خميرة العكننه هو أنا ناقص مشاكل !!!

فى الفترة الأولى لانتقال البت مصرية إلى منزلى كانت زوجتى عصبية لعدم تقبلها وجود شخص غريب عن الأسرة ومقيم بصفة دائمة ، ناهيك عن أن هذا الشخص أصم وأبكم .. .. الأولاد مديحة (عشر سنوات) ومعتز (ثمان سنوات ونصف) كانت عصبيتهم بطريقة تختلف عن أمهم .. .. فلقد رأيتهم يوما وقد دخلوا المطبخ ووقفوا أمام البت مصرية وأخرجوا لها ألسنتهم وأخذوا يحكون أنوفهم بسبابتيهما ويصدرون أصوات تشبه الخوار ، وكانت هى تقف مبتسمة ابتسامة الأم الرءوم .

توارت حدة العصبية من منزلنا بمرور الوقت .. .. واعتدنا حوار قراءة الشفاه مع البت مصرية .. .. وتعلمنا من وجودها أن التواصل بدون كلمات هو الأقوى والأعمق والأكثر أصالة .. .. فقد كانت البت مصرية محدثة لبقة !!! لأنها تجيد بإتقان فن الإنصات وذات قدرة عالية على التواصل وكانت ، وهو الأهم ، بكماء .

بعد مرور ما يقرب من العام على وجود البت مصرية بيننا بدأنا ، زوجتي وأنا ، نشعر أن البت مصرية هى بلسم حياتنا فقد كانت تقوم أو تشرف على شئون المنزل من أكل إلى نظافة إلى مكوى .. إلخ .. .. ولا تنام إلا بعد إيواء الأولاد إلى فراشيهما وقد أكلوا وشربوا واغتسلوا .. .. إلخ وذلك على جميع مراحلهما السنية من الابتدائى إلى ما بعد التخرج من الجامعة .. .. كانت أول من يستيقظ بالبيت .. .. عند الفجر تجهز ملابس الأولاد وساندويتشاتهما للمدرسة والإفطار ثم تودعهما بأعينها حتى نهاية الشارع .. .. ومن قبل ذلك فإنها كانت تصلى الفجر .. .. أى صلاة .. .. كانت حركات الصلاة إسلامية .. .. ولكن ماذا تقرأ فى صلاتها ؟ .. .. لا أعرف .. .. وعندما سألتها هذا السؤال ذات مرة ابتسمت ابتسامة حانية وهزت رأسها بالإيجاب ومضت إلى حالها .. .. فلم أفهم ولم أكرر السؤال .. .. إنها تصلى بخشوع .. كيف عرفت وتعلمت الخشوع ؟ .. .. من استطاع أن ينقل إليها إحساس الخشوع وهى الصماء منذ طفولتها كما أعرف ؟ .. .. أو ربما هى خاشعة لأنها صماء .. .. إن الخشوع هو نوع من الصمم عن ما يعتمل بالداخل أكثر منه صمم عن ما يدور فى الخارج .. .. فهل صممها الخارجى حولها بالتقادم إلى أن تكون صماء داخليا ؟ .. ..

لا أدرى ولا أدعى المعرفة .. .. فما أنا إلا مهندس ولست من علماء الاجتماع أو الأنثروبولوجى (علم الإنسان) أو علم النفس .

وحتى وقت غير بعيد كانت قناعتى أن البت مصرية تقوم بالأعمال المنزلية فقط وإننى وزوجتى نتولى تربية الأولاد .. .. غاضا فؤادى عن الدور المؤثر الذى تلعبه البت مصرية فى حياتنا وقدرتها العالية على التواصل وأثر ذلك على تربية الأولاد بل وتربيتنا نحن يا من تجاوزنا مرحلة الشباب سواء وعينا الدور وأثره أم لم نعى .. .. كانت تلك هى قناعتى حتى علمت أن مديحه وهى فى نهاية السنة الثانية وبداية الثالثة الجامعية نشأت بينها وأحد معيدى كليتها علاقة حب لم يعرف أحد منا بتلك العلاقة لسنوات سوى البت مصرية التى أخذت على عاتقها أن توجه مديحه وتدلها على الطريق وتحذرها من العثرات التى قد تواجهها .. .. وقد كان تعليق مديحه ، التى روت لى قصة تلك العلاقة :

- البت مصرية دى « بتتكتك» «تكتكه» تعجبك قوى .

وهنا رد المعيد الذى ربطتهما علاقة الحب ضاحكا ، والذى أصبح الآن زوجها الدكتور عمرو :

- « التكتكه » دى هى اللى جابتنى من البعثة على ملا وشى علشان أطلب من حضرتك يد مديحه .

ثم أضاف ضاحكا فى محاولة مصطنعة لاستفزاز مديحه :

- يعنى البت مصرية هى اللى جابتنى لك .. .. مش مديحه .

ورغما عن الحديث المرح فلقد انتابنى شعور أبوى خليط ما بين الغيرة والارتياح .. .. الغيرة من البت مصرية .. .. والارتياح بأن مديحة قد وجدت من تبحر معه فى بحر الظلمات بحب .

عندما علمت مديحة أنى أدون خواطرى عن البت مصرية ، ليقرأها أحفادى الذين فى أحشائها والغيب ، قررت وبدون قصد منها أن تعطينى الدليل على أنها ومعتز من صلبى ولكنهما نبت قد روته البت مصرية .. .. فقد أخبرتنى بأنه منذ ما يقرب من خمس سنوات ، عندما كان معتز مازال طالبا بالجامعة ، بأنه قد عاد يوما إلى المنزل قبل وقت الفجر بقليل فى حالة من السكر البين بعدما صارحته صاحبته بأنها عقدت العزم على الزواج « من واحد جاهز عنده عربية (بى. إم) وشقه . مش واحد لسه بياخد مصروف من باباه » .. .. واستقبلته البت مصرية التى لا تنام حتى تطمئن على كل أهل الدار والأولاد خاصة .. شمت رائحة الكحول .. لاحظت احمرار عينيه وتعثر مشيته .. أمرته ألا ينطق بكلمة .. .. خلعت عنه حذاءه وقميصه وسرواله .. .. أمرته أن يأخذ دش ساخن يتبعه مباشرةً بدش بارد .. .. وبعد الدش ألبسته بيجامته وأعطته كوب من القهوة السادة ليشربها ثم وضعته فى فراشه ، وفى الصباح ناولته مصحف ليقسم عليه بعدم العودة إلى الخمر مرة أخرى .

ومديحه تقص على تلك القصة لم يكن معتز هو ما يشغل فكرى فقد كنت على يقين بأنها تجربه ومرت بسلام .. ما كان يجول بذهنى هو من أين كان للبت مصرية بهده الخبرة مع السكارى ؟ .. .. لايوجد الآن من يستطيع أن يجيب على هذا السؤال .

الشهر الماضى كنت ، فى النادى ، أستمتع وزوجتى بعطلة يوم شتوى مشمس عندما مر علينا زوج من معارفنا كنا متقاربين يوما ولكن أمواج الحياة باعدت بين جزرنا فمددنا لهما أيدينا فمدوا لنا أيديهم فأقمنا حاجزاً للأمواج .. .. وبدأ الحديث رباعيا حتى موعد الغذاء ثم ثنائيا

على مائدة المطعم .. .. الزوجتين وحديث عن الأولاد .. .. فمنهم من تزوج ومنهم من ينتظر .. صديقي الدكتور وأنا فحديثنا ، لاختلاف مهننا ، كان عن عموميات العمل من إحباطات وإنجازات .. .. وعندما وصل صديقي في الحديث عن إنجازاته أفادني بأنه قد رقي منذ عام مديرا للمستشفى الحكومي التي يعمل بها ، وعن خططه الطموحة لتطوير المستشفى والتي بدأها باستيراد أجهزة طبية مجددة من ألمانيا .. ثم بدأ يمتدح ألمانيا والصناعة الألمانية والتطور الألماني وإن الأجهزة المجددة هي أجهزة جديدة ولكن سرعة التطور هي التي تجعلها في ألمانيا قديمة .. .. وفي محاولة مني لتجديد التقارب بيننا باستدارجه إلى الإفاضة في إنجازاته بادرته قائلا :

- أنتم عندكم في المستشفى قسم أنف وأذن ؟

فابتسم ابتسامة طبية رزينة ونظر إلى معاتبا :

- أنت نسيت أني دكتور أنف وأذن وحنجرة وكنت رئيس أقسام الأنف والأذن والحنجرة بالمستشفى .

بذكاء وتفاديا لحرج الموقف أكمل مبتسما بفخر :

- طبعا ده القسم بتاعي علشان كده كان له نصيب الأسد في الأجهزة الجديدة .

وكانت نشوة الفخر بالحديث عن إنجازاته في مجال تخصصه قد أخذته بأن نسي أنني لست بطبيب فأخذ يشرح لي بمصطلحات طبية ما تقوم به تلك الأجهزة من قياسات وجراحات .

وبينما هو يلتقط أنفاسه عاجلته قائلا :

- طيب أنا عايز منك خدمه .

- عنيه .. .. دا أنت تأمر .

- أنت فاكر البت مصرية ؟

فنظر إلى طلبا فى زيادة الإيضاح .

- البت مصرية الخرسة اللى عندنا فى البيت .. .. م أنت شفتها عندنا .

فقال متداركا :

- أيوه أيوه افتكرتها .. .. خير مالها .

- عازين نكشف على ودانها يمكن تكون عايزه سماعة أو عمليه .. أهو ينوبنا فيها ثواب وتسمع على أخر أيامها .

- بس كده .. .. أبعتها لى أى يوم .. .. وآدى الكارت بتاعى اتصل بى يومها واحنا نعمل لها اللازم .

وكنا قد فرغنا من الطعام فافترقنا على أن نجدد سابق الوصال .

بعد يومين اتصلت من المكتب بصديقى الدكتور وأخبرته أن البت مصرية ستكون فى المستشفى بعد ما يقرب من ساعة مع سائق من المكتب فأكد لى إنه فى انتظارهما .. .. ناديت على السائق وأعطيته التعليمات وبعض من النقود لزوم الفحوصات .. .. مضت بضع ساعات أتى بعدها السائق وأبلغنى أنه أعاد البت مصرية إلى المنزل وأن الدكتور يريدنى أن أتصل به .. .. فقمت بالاتصال بالدكتور وبعد المقدمات الاجتماعية والشكر وخلافه قلت له :

- إيه أخبار البت مصرية .. .. سماعة ولا عملية .

- لا سماعة ولا عملية .

- إيه مافيش فايدة ؟

- لأ .. .. فيه كل الفايدة .

فقلت له ضاحكا :

- أمال إيه .. .. ح تسمع بالليزر .

- لا .. البت مصرية بتسمع .. وتسعين فى المائة هى بتتكلم .

قلت بحدة لا شعورية :

- دا مش وقت هزار .. .. أنا باكلمك من المكتب ومعايا ناس .

- والله البت مصرية بتسمع .. .. وبتسمع كويس كمان .. .. الدكاتره جابولى الريبورت (التقرير) بتاعها ما صدقتش قلت لازم فيه غلطة .. .. نزلت بنفسى عملت لها التست (الاختبار) لقيت الريبورت مضبوط .. .. قلت يمكن الأجهزة مش مضبوطة عملت لها كاليبراشون (معايرة) لقيت الأجهزة مضبوطة .. .. أعدت التست مرة ثانية إدتنى نفس الناتج .. .. ..

لا أعرف كيف انتهت المحادثة ولا كيف خرجت من المكتب .. .. كل ما أعرفه أن الكمد قد غشى عقلى وإننى مرجل يغلى .. .. لقد رأيتها بأم رأسى ، صماء بكماء ، وأنا فى العاشرة .. كانت مع عمتى قبل ذلك فى كفر الدوار لمدة سنتين على أقل تقدير .. .. أنا الآن فى الثانية والخمسين .. .. إنها مع العائلة لأكثر من خمسة وأربعين عاما تمثل دور الصماء البكماء .. .. لماذا ؟ .. .. إنها حتى لا تخرج من البيت بمفردها فيمكن أن نقول أنها تنقل أخبار البيت .. .. لمن ؟ إنها بلا معارف أو علاقات .. .. خمسة وأربعين عاما بلا غلطة واحدة .. باب يغلق فجأة بصوت عال .. كوب يقع فيكسر .. .. فرملة أو تصادم سيارة .. .. لقد كانت فى كنف عمتى وهى ما تزال فى مرحلة الطفولة،

فسنها مقارب لسنى .. .. من أوحى لطفلة بهذه الفكرة الشيطانية .. الفكرة الشيطانية من ورائها هدف شيطانى .. .. هى على العكس من ذلك تماما .. .. هل هو تعذيب للذات ؟ .. .. هل لطفلة أن تعذب ذاتها ؟ ولمدة خمسة وأربعين عاما ثم تكون ، بعد ذلك ، على هذا القدر العالى من التواصل .. .. كيف ؟ .. .. لستة عشر عاما هى فى منزلى ولم تخامرنا لحظة ريبه أو شك .. .. خمسة وأربعين عاما تستغفل العائلة كلها .. .. وصلت إلى المنزل وقد كاد المرجل أن ينفجر .. .. وكان للبخار أن يخرج .. .. لا أعرف ماذا فعلت ؟ أو ماذا قلت ؟ .. كل ما أتذكره أن البت مصرية كانت تنظر إلى بعيون جامدة ووجه خال من التعبير .. .. وفى المساء بعدما هدأت ثورتى جاءنى معتز يعتذر لمنعه إياى بالقوة من ضرب البت مصرية .. .. وقبلت اعتذاره على الرغم أنى لا أتذكر الواقعة .

فى صباح اليوم التالى بحثنا عن البت مصرية فى كل مكان بالبيت فلم نجدها .. .. وبعد لحظات وأنا أستعد لتناول فنجان قهوة الصباح علمت أن « مصرية » قد غادرتنا إلى غير رجعة ، فقد وجدت على المنضدة التى أتناول بجوارها فنجان القهوة ورقة مطوية عندما فضضتها وجدت مكتوبًا عليها :

« هذا فراق بينى وبينك .. صدق الله العظيم »

ليسقط الزمان ... ليسقط المكان

أسكن القاهرة وأعشق الإسكندرية .. .. شتاءً على وجه الخصوص . وكثيرا ما أختلق الأعذار لأزور فرع شركتنا بالإسكندرية لأستمتع بالتسكع على الكورنيش والخلوة مع النفس .. .. في القاهرة لا خلوة ولا تسكع .. .. ولكن لقمة العيش ومن سيأكلون لقمة العيش .. .. وارتباطات اجتماعية تتعلق بلقمة العيش أو من سيأكلون لقمة العيش .. والضوضاء في السعي إلى لقمة العيش .. .. والضوضاء في الاستراحة من السعي إلى لقمة العيش .. .. في القاهرة يسلخ الإنسان من الإنسان .

في الإسكندرية أنا حبيب على موعد مع محبوبته أجلس إليها فأبثها أفراحي وأحزاني .. .. غالبا ما لا يكون عندها الحل لأحزاني .. .. لكن عندها السلوى فأشعر بالنشوة عند التلاقي والوحشة عند الفراق . في الإسكندرية أنا إنسان أرتدي حلة إنسانيتي .. .. فالإسكندرية معشوقتي .

الإسكندرية لي فيها طقوس لا تتغير .. .. الإفطار في تريانون محطة الرمل أو محل ألبان الوادي السعيد بكليوباترا ، حسب مزاجي في الصباح .. .. الغذاء في مطعم محمد أحمد لوجبة شهية من الفول والطعمية والجبنة المقلية أو في مطعم سانتا لوتشيا الفاخر ، حسب الميزانية .... أما العشاء ففي شقتي الصغيرة المطلة على بحر المعمورة ، أو في بار «كاليتيا» لطبق من السبيط المقلي كمزة لزجاجتين من البيرة ، وذلك حسب الوقت والمزاج والميزانية .. .. وأذهب مرة أو مرتين إلى سينما مترو أو سينما أمير ، حسب الأفلام المعروضة في كليهما .

تلك هى طقوس رحلاتى إلى الإسكندرية وكلها اختيار بين أمرين .. إما هذا و إما ذاك .. .. يبقى هناك طقس واحد كان لا يتغير فى أى ساعة من ساعات النهار أو الليل .. .. فمن محرم بك ، حيث فرع شركتنا ومدخل الإسكندرية الصحراوى ، إلى المعمورة كنت أسلك بسيارتى شارع أبو قير ثم يسارا إلى شارع سوريا بحى رشدى ومنه إلى الكورنيش والمعمورة .. .. فى فصل الشتاء كان وصولى إلى منطقة رشدى وشارع سوريا وقت غروب الشمس وانتهائى من عملى .. .. كل مرة أصعد فيها مرتفع شارع سوريا ، المطل على البحر ، وأرى الشمس وهى تختفى فى البحر كان يلح على سؤال : هل شكل الشمس وهى خارجة من مهدها هى ذات شكلها وهى ذاهبة إلى حتفها ؟ .. .. كان هذا السؤال يتبعه مباشرةً التفكير فى تجربة بأن نضع إنسان فى طائرة ويعطى منوم طويل المفعول (خمسة عشر ساعة مثلا) ثم تطير الطائرة شرقا أو غربا ، إلى اليابان أو أمريكا وبدون علم الشخص باتجاه الطائرة ، ويتم إيقاظه ليرى ولثوان معدودة قرص الشمس وهى يلامس سطح البحر ثم يُسأل : هل هذه الشمس هى من شروق أم إلى مغيب ؟ .. .. إننا يمكن أن نقول ، مع التجاوز الشديد ، أن هذا الشخص قد تعرض إلى تجربة تشبه إلى حد ما تجربة سقوط الزمان والمكان .

كان هناك ، عند مطلع شارع سوريا ، سؤال أخر يظهر على سطح مشاعرى كفقاعة هواء آتية من قاع المحيط لتنفجر على سطح الماء .. هل أنا مازلت أبحث عن «بهية» ؟ .. .. لا .. لا .. لا وألف لا .. .. نعم هى حبى الأول ، حب الثالثة عشر وما بعدها ، حب المراهقة الصغرى ، حب انزوى فى دولاب الذكريات وحجيه فى ذات الدولاب حب

وحب وأضغاث حب وأضغاث حب .. .. وللحق فهذا الحب هو أكثرهم طفوا على سطح مشاعرى واستجلابا لنسمة خريفية فى ذاتى .. .. نسمة تتسلل إلى داخلى وأنا أشاهد بعض أفلام عبد الحليم حافظ فى التليفزيون .

بهية .. .. أخت زميل الدراسة فى الإسماعيلية ، حيث عمل والدى. والدها مصرى ووالدتها أجنبية .. .. اسمها مصرى جداً .. .. «بهية». روحها مصرية .. .. ذكاؤها مصرى .. .. وجمالها مصرى معدلا بلمسة أجنبية .. .. تضحك الدنيا إذا ضحكت وظهرت لها ندبة أعلى خدها .. كيف أنساها ؟ .. .. وقد تعلمت على يديها ما سيظل عالقا بى وبشخصيتى إلى أجل محتوم .. .. أحلام اليقظة .. .. التدخين .. .. قراءة الكتب .. .. كتابة خواطرى .. .. التفلسف وإرسال الحكم .

كنت أشترى سيجارتين فرط ، بلمونت أو كيلوباترا وأحيانا فلوريدا ، وأهربهم إلى داخل المنزل ثم إلى درج مكتبى وأتحين ، بعد ذلك ، فرصة خروج والدىّ فالبس بذلتى الوحيدة وكرافتتى الوحيدة وأسرح شعرى وأضع كلونيا ، وأدخل الحمام لبدء مراسم طلب يد بهية من والدها .. .. وحيث أن تلك المراسم هى دائما من الوضع جالسا فقد كنت أجلس على التواليت واضعا رجل على رجل متخذا وضع العظمة .. .. ولما كان الجلوس على التواليت ببذلة كاملة واضعا رجل على رجل هو أمر غير مريح على الإطلاق فقد كنت أقوم بخلع بنطلون البذلة ثم أعود فأجلس على التواليت متخذا وضع العظمة وواضعا رجل على رجل .. .. أنتظر خمس دقائق أو ينيف فى حجرة الصالون ، كما ينص سيناريو مراسم طلب اليد ، وبعدها يوافينى الأب مصافحا مستبشرا :

- أهلا ياابنى خطوة عزيزة .. .. أنت فينك من مدة طويلة .
- والله مشاغل ومسئوليات يا عمى .. .. وحضرتك عارف إن إحنا اتنقلنا مصر .
- أه .. .. صح أنتم صحيح اتنقلتم مصر .. .. الأول تشرب إيه ؟
- قهوة على الريحة .. .. بن تقيل لو سمحت .
يغيب الأب قليلا ويعود وعلى وجهه علامات الجدية :
- خير يا ابنى .. .. أنت قلت لى فى التليفون أنك عايزنى فى موضوع مهم .
فأبلع ريقى وأتحسس كرافتتى ثم أشعل سيجارة وأقول له بصوت متحشرج :
- والله يا عمى .
وأتصنع التلعثم من الخجل ورهبة الموقف :
- والله ياعمى .. .. أنا جاى أطلب يد بهية .
وتدخل الأم ومعها صنية القهوة وتجلس إلى جوار زوجها فيهمس فى أذنها بكلمات أسمعها :
- زى ماتوقعنا .. .. وباين عليه محترم وملو هدومه .
فأحنى رأسى تواضعا وخجلا فأجد نصفى الأسفل عريان .. .. أتشاغل عن كل هذا بأن أشعل السيجارة الثانية وأرشف رشفة من القهوة منتظرا أن يفرغا من همسهما .
- إنت على فكرة بتدخن كتير .
- لا النهارده وضع خاص .. .. حضرتك طبعا فاهم .
فيتجاهل ما قلته ويستطرد :

- أنت بتشرب سجاير نوعها إيه ؟

- والله ياعمى ده حسب المصروف .. .. أقصد حسب الظروف .. .. يعنى أنا متعود أشرب سجاير كرافن ولكن لما بتبقى شحه باشرب كليوباترا .. .. ولكن أوعد حضرتك أن لا دى ولادى بعد الجواز وتحمل مسئولية بيت وأولاد .

ثم يسود بعض الصمت أقطعه قائلا :

- إيه رأى حضرتك فى موضوعنا .

فيطرق برأسه وينتظر ثوانى كأنها الدهر .

- كل خير أن شاء الله .. .. واضح أن لك مستقبل .. .. ولكن زى ما أنت عارف الرأى الأول للبنت والرأى الأخير لى أنا .

ثم صمت لدهر أخر وقال :

- أنا من ناحيتى موافق .

ابتسمت ابتسامة الواثق من نفسه لتأكدى من الرأى الأول .. .. استأذنت .. .. لبست بنطلونى وخرجت .. .. من الحمام .

كانت مراسم طلب يد بهية تستغرق حوالى النصف ساعة أؤنب نفسى بعدها على الوقت الذى استقطعته من وقت المذاكرة .. .. كان شعور الراحة يعاودنى بعد قراءة فصل من فصول كتاب ، اشتريته من بائع الروبابكيا ، عنوانه «سيكولوجية الطفولة والمراهقة » .. .. الفصل عن أحلام اليقظة فى مرحلة المراهقة .. .. فتطمئن نفسى وأقوم لمذاكرتى .

غادرنا الإسماعيلية وأنا فى السادسة عشر وما لبثت أن وصلتنى أخبار بأن بهية قد خطبت وهى فى السادسة عشر أيضا .. .. وبعد عام علمت من أخيها أنها تزوجت ورحلت إلى الإسكندرية لتسكن حى رشدى

بجوار شارع سوريا .. .. يومئذ عدت أدراجى إلى المنزل وأوصدت باب حجرتى وأخرجت الكراسة التى أمليها خواطرى وأشعلت سيجارة واعتصرتها فى رئتى وكتبت : « السيجارة هى الأنثى الوحيدة التى تظل مخلصة لشفتيك أبد الدهر » .. .. ألم اقل إننى تعلمت الكثير على يديها .. .. فكيف أنساها ؟

فى سابق الزمان كان شارع سوريا هادئ جميل تستمتع بالسير فيه . فيلات ، قصور ، عمارات سكنية ذات خمس طوابق على الأكثر ، عدد المارة عند غروب الشمس لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة وعدد من السيارات أقل كما لا توجد سيارة واحدة فى الانتظار .. .. اختصارا لم يكن شارع سوريا سوقا تجاريا مستفزا كحاله اليوم .. .. فى السادسة والثلاثين من عمرى بينما أصعد مطلع شارع سوريا الجميل ، وقت الغروب كما هى عادة توقيتى ، وتجربة سقوط الزمان والمكان تشغل فكرى .. .. رأيتها .. .. رأيت بهية فى أعلى نقطة بالشارع تشرق من بين أحضان قرص الشمس .. .. شل تفكيرى لثوان .. .. تمالكت نفسى رغم تلاحق ضربات قلبى التى ربما سمعت فى إيطاليا .... ماذا أفعل ؟ هل أقف وأكلمها ؟ .. .. أوقفت السيارة وخرجت منها عند منتصف المطلع .. .. أسندت ذقنى على يداى على ظهر سيارتى الفاصلة بينى وبين الرصيف الذى تسير عليه بهية .. .. إنها على بعد خمسة عشر خطوة منى .. .. إنها هى .. .. إنها بهية .. .. إنها كآخر عهدى بها ونحن فى السادسة عشر .. .. إنها لم تتغير منذ أن رأيتها بالأمس القريب .. .. تقدمت خطوة ثم خطوة .. .. أيقنت هى أن انتظارى هو لها .. .. وجلت قليلا .. .. أسرعت الخطى .. .. خطوة وخطوة .. ..

نظراتى مثبتة عليها .. .. إنها لم تتغير .. .. ظهرت عليها علامات الارتياح عندما وصلت إلى محاذاة مقدمة السيارة ولم تبدر عنى حركة أو كلمة .. .. نظرت الى لأول مرة .. .. ابتسمت .. .. ابتسامة فخر واعتزاز بجمالها .. .. إنها لم تربط بعد بين ملامحى والتاريخ ولكنها ستربط .. .. بكل تأكيد ستربط .. .. فى النظرة التالية أو الثانية القادمة أو الخطوة التى تلى تلك الخطوة .. .. حتى كانت بمحاذاتى وأنا بلا حركة أو كلمة فأدارت عينيها لتلقى نظرة على العاشق الصامت .. اتسعت ابتسامة الفخر والاعتزاز بأنوثتها .. .. وظهرت الندبة أعلى خدها .. .. إنها هى .. .. إنها هى .. .. إنها النشوى .. .. ويالها من نشوى .. .. النشوة بداخلى لها برودة محببة لونها أبيض ليس مثله بياض مشوب بزرقة تكاد لا تراها .. .. أطرقت رأسها وأسرعت الخطى.
أنسيت يوم عيد ميلاد أحدهم عندما كنت أراقصك ؟ يوم ضممتك إلى صدرى بقوة مراهق مرتعش فاستسلمت لضمتى «بتمنتع»* مراهقة مرتعشة .. يوم أسلمت رأسك لكتفى وجبينك لشفتاى .. .. ألم تعلمى بأن ندبتك قد وشت بابتسامتك ؟ .. .. أنسيت بعد حفلة وداعى من الإسماعيلية ، فى نادى الهيئة ، أننا تخلفنا فى رحلة العودة إلى ديارنا ، إلى نهاية قول الأصدقاء .. .. ضممت كتفك لصدرى وضممت خصرى لخصرك .. .. أين عزولنا يومها ؟ ندبتك .. .. أين التقاء أعيننا طوال الطريق ؟ .. .. ألم تعلمى بأنى أرى دروب عينيك وشوارع الإسماعيلية عند سماعى عبد الحليم حافظ وأنا أغنى « ياماقالت لى عينيه ساعة

* بتمنتع : كلمة اشتققتها من الكلمتين « تمنع » و « تمتع ».

الفراق خليك شويه » .. .. أنسيت من يغمض عينيه على صورتك ويصحو عليها .. .. ألم تعلمي بأني أحبك ؟ .. .. تباً لك فذكاؤك قد قال لك .. .. نشوة البياض المائل للزرقة تتسلل إلى أطرافي .. .. رجلاى لا تحتملانى أو لا تحتملان النشوة .. .. لا يهم فإنى أحلق .. أحلق فى اللا زمان واللا مكان .. .. أمتلك العالم بل الكون زمانا ومكانا .. .. فلا شئ يسع نشوتى .

على مسيرة دقيقة منى وصلت بهية إلى كشك السجائر القريب من الترام .. .. اتخذت الشراء من الكشك ساترا لترى حال عاشق الصمت. وجدتنى على حالى وإن لم يبدو لها أن تراب الأرض قد بدأ يعصف داخلى طاردا بياض النشوة المائل للزرقة .. .. بدأت أفيق من سكرتى. بدأت أصحو من نشوتى .. .. نشوة سقوط الزمان وسقوط المكان . كيف تكون هذه هى بهية ؟ .. .. هل اكتشفت بهية إكسير الشباب ؟ .. .. لا بل قل .. .. هل أكتشفت بهية إكسير المراهقة ؟ .. عشرون عام زواج وإنجاب وتربية .. .. مسئولية منزل وزوج وأولاد، صراعات الحياة .. .. خبرة .. .. نضج .. .. ثم تظل بعد ذلك مراهقة .. .. مراهقة فى جسدها .. .. مراهقة فى ملابسها .. .. مشيتها .. .. تسريحة شعرها .. .. فى نظرتها .. .. ابتسامتها .. .. كيف ؟ .. فيقينا هى ليست بهية .. .. وتأكيدا إنها ابنتها .

أنا الآن فى منتصف العقد السادس من عمرى .. .. الإسكندرية ما تزال معشوقتى .. .. طقوسى بالإسكندرية على حالها عدا أنى لا أدخل الآن شارع سوريا .. .. فالسوق المستفز بذات الشارع ينازعنى حلة

إنسانيتى التى بليت على مر السنين وأحاول أن أرتقها كل حين .. ..
وأيضا حتى لا تتكرر تجربة سقوط الزمان وسقوط المكان على جمالها ..
فعندما أصحو من نشوتى هذه المرة سأكون على يقين بأنها ليست هى
بهية .. .. بل تأكيدا ستكون هى حفيدتها .. .. يومئذ عندما أرى
قرص الشمس على حافة الماء فى نهاية شارع سوريا سأكون على يقين
بأن الشمس إلى مغيب .

الحمار الذى قال .. .. لا

يحكى أنه فى سالف العصر والزمان فى بلاد تركب الحمير ، كان هناك حمار يدعى « بوزو » .. .. صاحبه شيخ جشع شديد البخل غليظ القلب يقسو عليه بشدة ويضربه بإصرار وبلا مبرر .. .. وفى يوم من ذات الأيام عندما كان صاحبه يمتطيه ويوسعه ضربا توقف «بوزو » عن السير وأبى أن يتحرك .. .. حرن الحمار وصمم على موقفه غير مبال بضرب الشيخ المستمر له بعصبية .. .. التفت « بوزو » إلى صاحبه وقال :

- انت بتضربنى ليه .

- علشان تتحرك يا حمار .

- لكن أنا مش عايز أمشى .

فضربه الشيخ بشدة وقال :

- أنت غصبا عنك وعن اللى خلفوك لازم تمشى .

- أنا مش ماشى .

قالها «بوزو » بتحد وإصرار ثم أضاف متسائلا :

- علشان إيه لازم أمشى ؟

- علشان عندى مصلحه لازم أقضيها .

وبلا مبالاة نهق :

- بس أنا ما ليش مصلحه .. ..

- ولكن أنا ليه مصلحه .

وبثقة ذوى العزم والإصرار قال «بوزو » :

- إذاً اذهب أنت إلى مصلحتك وعندما تعود ستجدنى هنا إن شاء الله .
- كيف أذهب وأتركك هنا وأنت حمارى ؟
- لا .. .. لا .. .. أنت اللى البنى آدم بتاعى مش أنا الحمار بتاعك .
- افهم يا حمار .
قالها الشيخ بحدة ثم استطرد :
- أنا اللى أمتلكك مش أنت اللى تمتلكنى .. علشان كده أنت حمارى مش أنا بنى أدمك .. .. فهمت يا حمار .
ضحك «بوزو» بسخرية ونهق قائلا :
- بالمناسبة .. .. عندنا معشر الحمير عندما نريد أن ندلل على غباء حمار نقول له يابنى آدم .
ثم أردف ينهق :
- على فكرة .. .. أنا اللى أمتلكك مش أنت اللى تمتلكنى .
- تيجى إزاى دى .. .. ياحمار .
وقبل أن يهم الحمار بالكلام قال صاحبه .
- كل الناس فى البلد عارفين أنك حمارى وأنا أمتلكك .
- مش كلكم بنى أدمين .. ..
- أيوه طبعا .
- تبقوا كلكم فاهمين المواضيع بالمقلوب .. .. علشان أفهمك .. ..
- أنت ح تقل أدبك .
- لا ما أقصدش .. أنا بأحاول أفهمك وأنت اللى مش عايز تفهم .

- تانى قلة الأدب .
وتجاوز «بوزو» عن ما قاله الشيخ وأضاف :
- هل كنت تشترينى لو لم تكن لك مصلحه فى شرائى ؟
- طبعا لا .
فعاجله الحمار بسؤال وبصوت خفيض :
- أليس ألبنى أدمين عبيد مصالحهم ؟
وبسرعة رد الشيخ من جشعه فلم يستقرئ معها وجهة الحمار من الحوار :
- طبعا .
ولكنه عندما تدارك أن الجشع منه هو الذى أجاب قال معقبا :
- بس داشئ طبيعى .
قال «بوزو» مواسيا بخبث :
- طبعا طبيعى .. .. ولكن أنت لك مصلحة فى علاقتنا وأنت عبد مصلحتك .. .. علشان كده أنت عبدى .
- أنت بتخرف تقول إيه .
- بأقول أن البنى أدمين متناقضين .
وحاول الرجل أن يقول شيئا فلم يمهله الحمار وأكمل يقول :
- وكمان .. .. مش أنتم يا بنى آدمين بتقولوا أن « خادم القوم سيدهم ».
- أيوه بنقول كده .
- وحيث أنى أخدمك فأنا سيدك .. .. وأنت عبدى .
- ولكنى أنا أيضا أخدمك .. ..

- لن أجادلك كثيرا فى هذا .. .. ولكن لو كنت أنت تخدمنى أكثر من خدمتى لك لا شتريتك أنا .. .. وأصبحت أنت سيدى وأنا عبدك .. فهمت يابنى أدم .

- يا مثبت العقل فى الرأس يارب .. .. أنت مش ح تبطل النهيق بتاعك ده .. .. ما هو يانمشى نشوف مصالحنا ياتسبنى أنام شوية تحت الشجرة دى .

- ياراجل ماتزعلش قوى كده دا أنت أحسن من غيرك كثير .

- يانهار أسود من قرن الخروب فى ليله ضلمه .. .. هوه لسه فيه كمان .

وأستطرد «بوزو» متجاوزا عن ما قاله الرجل :

- على الأقل أنت عبد ما تقتنى ولك عذرك .. .. ولكن هناك فئة من ألبنى أدمين عبيد ما لا يقتنوا .. .. والمصيبة أن ألبنى أدمين بـ .. يعظموهم ويبجلوهم ويرفعوهم على الأعناق .. .. دول أنتم يابنى أدمين بـ تسموهم الطموحين .. .. دول عبيد منصب ، جاه ، ثروة ، .. .. إلخ لم يصلوا إليها بعد .. .. دول عبيد صورة .. .. صورة للملكية لسه ما امتلكوهاش .. .. ويا عالم ح يمتلكوها ولا لأ .. .. عبيد صورة علشان كده يجب تأميم الشعور بالملكية .. .. إن صح التعبير .. .. مش تأميم الملكية .

قال الشيخ حانقا :

- ما تتكلمش فى السياسة يا حمار .. .. ح تودينا فى ستين داهية .

- لا .. أنا مابتكلمش فى السياسة .... لأن تأميم الشعور بالملكية هو بالضبط تأميم الشعور بالعبوديه .. .. يعنى أن تشعر بأن الملكية

والعبودية هما للواحد الذى ليس من دونه مالك .

وكان الرجل قد استلقى تحت الشجرة ، غير عابئ بما يقال ، فاسترسل «بوزو» منهقا :

- وبعد كده ألبنى آدمين يقولوا بتضرع «ربى .. لا أشرك به أحدا» ويقولوا «إحنا ما بنعبدش أصنام .. يبقى إحنا مؤمنين وموحدين بالله» أنت مش عارف إنى أنا أحد أصنامك .. .. وكمان الأفندى اللى صنمه صورة .. .. الناس حتى مش شايفه الصورة الذهنية بتاعته .. .. لان الطموح صورة ذهنية شخصية بحتة .. .. وبعد كده الناس تقول عنه «ياسلام .. ولد .. يعرف من أين تأكل الكتف» .. الناس بتعبد صنم مش شايفينه وكمان بتاع واحد تانى .. .. بالذمة دا كلام فيه أى عقل أو منطق .. .. وطبعا لأنك بنى آدم فأنت مش ملاحظ أى تناقض أو أى شرك .. .. وكمان عامل نفسك مش واخد بالك .

ضم الشيخ يديه تحت رأسه ثم نظر إلى الحمار قبل أن يغمض عينيه وقال :

- وقت ما تحب سيادتك تمشى قول لى علشان نروح .. .. وملعون أبو الشغل واللى عايزين يشتغلوا .

- نمشى دلوقتى .

فنهض الشيخ مسرعا ينفض التراب عن جلبابه وفك عقال الحمار وهم بركوبه فتحرك الحمار خطوتين لمنعه من الركوب ..

- أنت برضه عايز تركبنى .. .. واضح أنك ما فهمتش حاجة من اللى أنا قلتها .

- فهمت إيه ؟

- أن العبد ما يركبش سيده .. .. أنا مش قلت لك أن كل حاجة بالمقلوب عند البنى آدمين .

فرد الرجل بتهكم يكتم به غيظه :

- امال سيادتك عايزنا نعمل إيه ؟

- تركبنى .. لما ما تفرقش معك أنك تركبنى أو تمشى على رجليك .

ثم انتظر «بوزو» برهة ليهضم الشيخ ما قاله وأضاف بعد ذلك قائلا:

- أو نمشى جنب بعض .. .. ياصاحبى .

- طيب يبقى لزمتك إيه عندى ؟

- زى لزمتك عندى بالضبط .. .. ولا حاجة .

- يبقى أسرحك أحسن .. .. على الأقل أوفر عليقتك .

- تسرحنى .. ما تسرحنيش مافيش عبد يركب سيده بعد النهار ده .

فقال الشيخ مستدركا :

- أسرحك أزاى .. .. ببلاش كده .. .. دا أنا اشتريتك بشئ وشويات .

- أهى ببلاش دى هى العقبة .

- عقبة إيه .

- تبقى حامل كتاب الله وماتعرفش العقبة .

وبعد برهة من التفكير العميق قال الشيخ بصوت خفيض كمن يحدث نفسه :

- «وما أدراك ما العقبة فك رقبة »*

وكان الكيل قد طفح بالرجل من حوار الحمار فقال بصوت عال ، يكشف عن اضطرابه الداخلى ، محدثا «بوزو» وقد أدرك ما يرجوه الحمار :

* سورة البلد آية ١٢ ، ١٣ .

- عايزنى أفك رقبتك .. ليه أنت فاكرنى حمار .

فطن «بوزو» لنفاذ صبر صاحبه فعاجله قائلا وهو يتلاعب به :

- أديك بدأت تفهم .. .. لكن برضه بالمقلوب .. ..

فلما لم يعلق الرجل استكمل «بوزو» كلامه :

- أنت تسرحنى أنا .. .. وتفك رقبتك أنت .. .. لان فك الرقبة دا للعبيد مش للأحرار .

فاستشاط الرجل وكمد .. .. فأجهز عليه «بوزو» إذ قال :

- فهمت يابنى آدم .

وحينئذ فك الرجل وثاق «بوزو» بعصبية فانطلق يجرى فرحا بفك وثاقه وعتق صاحبه .. .. ونهق مناديا رفيقه السابق من بعيد :

- أهو انت دلوقتى حمار بحق وحقيقى .

أوراق الشجر الجافة



إنى أختنق .. .. فالكلمات والأسماء ، بجريدة الأهرام فى الصفحة الوحيدة التى أقرأها دون غيرها ، تخنقنى .. .. صفحة الوفيات .. .. **«أنتقل إلى رحمة ربه الأميرلاى .. نجل المغفور له .. ناظر الخاصة الملكية»** .. .. هو المغفور له لسه ناظر الملكية؟ .. .. دا المغفور له مات .. .. والخاصة الملكية ماتت .. .. والملكية ماتت .. .. والملك مات .. .. وجحا مات بعده .. .. والحمار كمان قتلوه .. .. مستشفى الشعب للحيوان*[1] قتله رحمه .. .. والله الناس دى بتكتب أى كلام فاضى .. .. عاملين بالضبط زى «إحنا اللى بنينا الأهرامات» .

«بعد صراع مرير مع المرض رجعت النفس المطمئنة .. .. إلى ربها . والمرحوم والد الطفلين .. .. و .. .. بالحضانة» .. .. أنت سائب طفلين ورايح فين .. .. مين ح يربى العيال دى ؟ .. .. صراع مع المرض .. .. لماذا أخضعك المرض ؟ .. .. كان عليك أن تصرعه .. .. أطفالك سيدفعون ثمن استسلامك .. .. هذا ظلم .. .. ظلم .. .. والله ظلم .

إنى أختنق .. .. أين سأذهب هذا المساء ؟ .. .. لم أجد أسم واحد أعرفه فى صفحة الوفيات من المتوفين أو أقاربهم .. .. المجتمع الوحيد الذى أواظب على ارتياده ، منذ فترة ، هو سرادق العزاء .. .. ذات مرة انفجرت فى بكاء ونحيب بأحد السرادقات .. .. قام لفيف من المعزين بمواساتى فى مصابى الجلل الذى أقسم أيمانا مغلظة أنى لم أره فى

---

١ مستشفى الشعب للحيوان : مستشفى بيطرى بحى زينهم بالقاهرة ، كان سابقا يسمى مستشفى بروك الخيرى

حياتى قط .. .. قريبه الذى ذهبت لأجامله لم يكلف نفسه عناء الحضور للسرادق .. .. ماذا أصابنى ؟ .. .. الموت أصبح محور بحياتى !! .. هل هذا عن رهبة منه أم رغبة فيه ؟ .. .. هل أريد أن أجاور الموت ليشعرنى بأننى حى ؟ .. .. أم أنا مظاهرة رفض ؟ .. .. رفض للحياة ورفض للموت .. .. رفض لحياة هى الموت .. .. ورفض لموت من بعده الموت .

كل شئ يخنقنى .. .. جدران حجرة النوم تقترب من بعضها فتخنقنى .. .. السقف يهبط من عليائه فيخنقنى .. .. تراكم النيكوتين فى رئتى يخنقنى .. .. رئتى تختنقا من ضغط قولونى المنتفخ والحجاب الحاجز .. .. أفكارى تخنقنى .. .. تداعيات من الماضى تخنقنى .. .. حرارة أغسطس المنبعثة من الجدران والسقف الخرسانى ، لشقة قبلية شرقية تحت الشمس مباشرة بصحراء مدينة نصر ، تخنقنى .. .. عزلتى تخنقنى .. .. تيبس رقبتى يقتلنى بصداع خانق .. .. ماء رطوبة الهواء يزاحم الأكسجين فى رئتى فأختنق .. .. ضغط دمى المرتفع يلهث أنفاسى .. .. صلصلة مفاتيح تفتح باب الشقة .. .. صوت أولادى فى الصالة .. .. الحمد لله لقد عادت زوجتى والأولاد ليخرجونى من حالتى أو ليستدعوا لى الطبيب .. .. نهضت من فراشى ونظرت إلىّ فى المرآة. ذقنى طويلة .. .. لا يهم .. .. فأولادى قد عادوا لأبيهم .. .. خرجت إلى الصالة .. .. وجدت بها ما هو مدون بقائمة المنقولات الملحقة بعقد إيجار الشقة المفروشة .. .. عدد اثنين فوتيل .. .. عدد واحد كنبة (رجل مكسورة) .. .. عدد واحد منضدة ببنورة .. .. عدد واحد تليفزيون ١٤ بوصة أبيض وأسود .. عدد واحد كليم .. .. مضافا إلى

القائمة وجدت بالصالة طبق من البلاستيك به بقايا فول نابت وبصل .. عدت إلى السرير لأحملق في السقف مرة أخرى .. .. دمعى العاصى يختقنى .. .. لم أتعلم كيف أبكى .. .. ولكنهم علمونى كيف لا أبكى ، علمونى كيف أختنق .. .. لم يعلمونى كيف أتنفس .. .. كيف لزوجتى أن تعود إلى المنزل؟ .. .. فأنا مُطَلِقٌ .. .. قمت متثاقلا .. .. فتحت الجزء المغلق من النافذة .. .. أريد هواء فإنى أختنق .. .. أريد أن أفتح تلك النافذة لأودع أولادى إلى المدرسة .. .. يركبوا أوتوبيس المدرسة المكيف .. .. يتشعبطوا فى الترام .. .. لا يهم .. .. أى مدرسة .. .. لايهم .. .. مدرسة لغات .. .. كُتاب .. .. لا يهم .. .. المهم أن يخرجوا من بين أحضانى إلى الحياة .. .. أمانى تخنقنى .. .. صوت أولاد الجيران ، يلعبون الكرة ، يعزف على أوتار أعصابى المشدودة لحنا جنائزياً خانقاً غاضباً .. .. تزوجتنى عندما كنت ابناً شرعياً .. .. هجرتُ البيت .. .. طلبت الطلاق بعدما أصبحتُ لقيطا .. .. كالت لى الطعنات لتستر انسحابها من العلاقة .. .. الطعن فى الظهر قاتل أفريتم من يساوم غريق ؟ .. .. لا .. .. لم تكن تساومنى على إنقاذى .. .. بل كانت تساومنى على القشة التى يتعلق بها الغريق .. قشة .. .. ثمن خروجها من العلاقة بلا مشاكل ومحاكم .. .. مشاعرى تخنقنى .. .. السنوات التى قضيتها معها تخنقنى .. .. إخلاصى لها يشعرنى أننى كلب .. .. شعور قاتل .. .. بعض الطعنات اخترقت ذاتى إلى أولادى .. .. وكيف لا تصل إليهم فهم جزء منى؟ .. .. صدوا الطعنات بأيديهم الصغيرة الرقيقة فأبعدتهم عنى .. .. إن جهنم ليست أهلا لعذابك .. .. نحيبى يخنقنى .. .. إنى لا أبكى .. .. فأنا

لا أعرف كيف أبكى .. .. لكن فاض الدمع من عين ينبوع الحزن .. .. المعلومات تخنقنى .. .. لخمس سنوات أدرس .. .. إدارة أعمال .. .. تسويق .. .. لم أجد فى الكتب الطريقة التى صرعوا بها أبنى .. .. قتلوه عمدا مع سبق الإصرار والترصد .. .. لم يقدم أحد للمحاكمة .. حفظت القضية قضاء وقدر .. .. القتلة معروفين .. .. يهوذا معروف عقلى موتور سيارة أنا قائدها .. .. أضع رجلى على بدال السرعة (البنزين) إلى نهاية مداه .. .. السيارة لا تتحرك .. .. مازلت مصمم على أن أضع رجلى على بدال السرعة إلى نهاية مداه .. .. الموتور يحترق .. .. وأنا أتلذذ بإنكار فأختنق .

ابتسمت .. .. ابتسامة مزاجها حنظل وصبار .. .. فبالأمس كنت عسكرى مراسلة بمعسكر حربى بالجيش الأمريكى إبان الحرب العالمية الثانية .. .. ملحق بمكتب الجنرال « ماك أرثر »*٢ بنفس المعسكر .. صدرت إلى الأوامر من سكرتارية الجنرال بأن أشترى عيش لزوم عشاء القائد الكبير .. .. أطعت الأمر بالخطوة السريعة .. .. اشتريت رغيفين من العيش الفرنساوى الطويل المغطى بطبقة غنية من السمسم ولهما هشاشة البسكويت وقد لفا بورق السوليفان وزينا بشريطين لونهما أحمر، إنهما متعة للناظرين .. .. هناءً للآكلين .. .. توقفت فى عودتى إلى المعسكر .. .. اتخذت قراراً لارجعة فيه .. .. ذهبت ، بالخطوة السريعة ، إلى منزلى .. .. أعطيت زوجتى (مطلقتى) الرغيفين لعشائها والأولاد .. .. لو طال الحلم لثوانى قليلة لأعدمنى الجنرال

---

٢ جنرال أمريكى وقع ممثلا للحلفاء وإمبراطور اليابان وثيقة استسلام اليابان للحلفاء فى نهاية الحرب العالمية الثانية .

العظيم رميا بالرصاص .. .. تحول الموت إلى حلم .. .. ابتسمت .. .. هذا إنجاز .. .. أنا الآن قادر على الابتسامة .. .. ابتسامة الحنظل والصبار .. .. أتعرف من أنا ؟ .. .. أنا أوراق شجر جافة جمعها ماردين ولصقاها بلعابهما وأخذا يتقاذفانى ويتضاحكا .. .. فى يوم أسود عاصف بللت أمطاره عيناى .. .. أنا قطن يعبث به قوس منجد محترف .. .. لا أعرف لعبثه فائدة .. .. أنا .. .. أنا .. .. أنا أختنق .

جُن الليل .. .. غربت الشمس ساعتين قبل الآن .. .. ربما خمس ساعات .. .. أنا مابرحت مكانى أحملق فى السقف .. .. الساعة الآن التاسعة أو منتصف الليل .. .. لا فرق .. .. يجب أن أخرج .. .. إن لم أخرج فسيجدوننى غدا جثة هامدة تحملق فى السقف .. .. وربما بعد أسبوع من قبضى .. .. فلا أحد يسأل .. .. ولا أحد يهتم .. .. ولكنهم يوماً ما سيحسون بوجودى .. .. سيسعون إلى مهرولين .. .. سيلتفون حولى .. .. سيصورون منى قديساً .. .. يومئذ سيحملوننى على الأعناق .. .. سيهللون .. .. سيكبرون .. .. ذلك يوم أن أتحول إلى جيفة .. .. فما أنا وأنتم إلا جيفة يسترنا قناع أسمه الروح .. .. إن نزع عنا القناع ظهرنا على حقيقتنا .. .. يجب أن أخرج وإلا سأختنق ، نهضت واقفا .. .. إنجاز أخر .. .. فأنا الآن قادر على اتخاذ قرار .. .. قرار الخروج .. .. ولكن إلى أين ؟ .. .. هل المطلوب منى قرار أخر وإنجاز أخر ؟ .. .. هذا كثير .. .. هل اليوم هو يوم الإنجاز العالمى ؟ .. لا .. .. لا .. .. لن أزور « أصدقاء » .. .. نظرات من كنت أعتبرهم أصدقائى تلسعنى .. .. كلماتهم محلول ملح مركز يُسكب على جروح طعناتى .. .. تعليقاتهم وضحكاتهم سياط تنكأ جراحى .. ..

اعتذارهم عن لقائى محتويات مجلد عنوانه «هذه الدنيا مصالح » .. ..
لا .. .. لا .. .. سأذهب إلى بار الحاج سعيد .. .. هذا هو القرار ..
قرار روتينى يومى محبب .. .. بيرة الحاج سعيد مثلجة تخفف وطأة
حرارة أغسطس ، تندى وترطب أوراق الشجر الجافة .. .. تذهب العقل
فأنسى القطن المنتوف .. .. تغيب المشاعر فأتقبل كينونتى كأوراق شجر
جافة وقطن منتوف .

الطوفان

من منكم لا يعرف الطوفان ؟ .. .. إنه منى الأمل والخلاص .. ..
على صوته يتحطم خوفى .. .. هو كلمة «لا» العالية النبرة لاستغلالى
وابتزازى .. .. خريره الهادر ، الذى لايُبقى ولا يذر ، يهمس فى أذنى ،
لقد نضجت وبلغت مبلغ الرجال .. .. لكن زُجرتُ .. .. لكم ضُربتُ ..
لكم حُبستُ ليتوقف شوقى إليه .. .. وإنتظارى لسماع صوته .. ..
لكن هيهات .. .. وكيف لى ألا أتشوق لخريره ؟ .. .. صوته يزيح
النفايات .. .. ماؤه يغسلنى من أدران عجزى .. .. ضعفى .. ..
هوانى على الناس .. .. إنه منقذى من الضياع .. .. هوانى على نفسى ،
تخاذلى .. .. منقذى من طريق متسربل بالغفلة الموشاة بالغباء والمحلاة
بالنوايا الحسنة .. .. إنه صحوتى من غيبوبتى .. .. وما بعد الغيبوبة
إلا الموت .. .. أو الصحوة .

الطوفان .. ..هو ماركة صندوق الطرد (السيفون) بدوار جدى ،
بناحية شبلنجه .. .. صندوق من الحديد الزهر معلق ، على يسار
المرحاض ، بأعلى نقطة من دورة المياه شاهقة الارتفاع بالنسبة لى أنا
طفل الخامسة .. . الطوفان له رافعة حديدية شكلها هو نتاج تزاوج
علامتى التعجب والاستفهام .. .. يتدلى منها سلسلة تنتهى بحلقة هما
صنوان لناقوس روضة الأطفال التى أرتادها .. سألت يوماً أصغر
أعمامى ، وهو وسط أقرانه ، أن يشد السلسلة والحلقة ليخلص المرحاض
من فضلاتى .. .. ضحك الأقران على رد عمى .. .. «لما تبقى مش قد
حاجة ما تبقاش تعملها» .. .. أراد أن يظهر سطوته وجبروته لخلانه ..
أخذ نفساً عميقاً من الشيشة .. .. هز مبسمها أمام عيناى يتهددنى ..

خرجت كلماته مختلطة بالدخان والضحكات .. .. « لو شفت فضلاتك فى المرحاض ح أضربك .. .. لما تكبر وتعرف تشد السيفون أبقى أعمل اللى أنت عايزه » .. .. جفت جفونى النوم تلك الليلة .. .. كيف سأقضى حاجتى فى دوار جدى وسيكون لى فيه ردحا من إجازة الصيف ؟ حتى كان مطلع الفجر عندما وجدت الملجأ .. .. هريدى خفير الدوار .. أفضيت ، فى الصباح ، همومى للخفير وطلبت منه أن يشد لى السلسلة والحلقة كل يوم .. .. «غالى والطلب رخيص .. .. يا غالى يا أبن الغالى » .. .. ثم أردف قائلا :

- أنا ح أخذ منك بس حتة معدن كل يوم .

فلم أفهم

- يعنى إيه حتة معدن ؟

- يعنى تعريفة يا ابن الذوات .. .. يا تربية المدارس .

ببراءة وافقت وابتلعت إهانتى .. .. ففى المدرسة قالوا لنا أن الجاموسة والعجل والحمار والبغل هم الذوات .. .. الأربع .

بعد بضعة أيام كنت أناول هريدى الخفير التعريفة عندما قال لى :

- أنا ليه تعريفة كمان بتاع امبارح .

- بس أنا ما عملتش حاجة امبارح .

- أيوه ماهو النهار ده أنا عملت شغل بتاع يومين .. .. امبارح والنهارد ده .

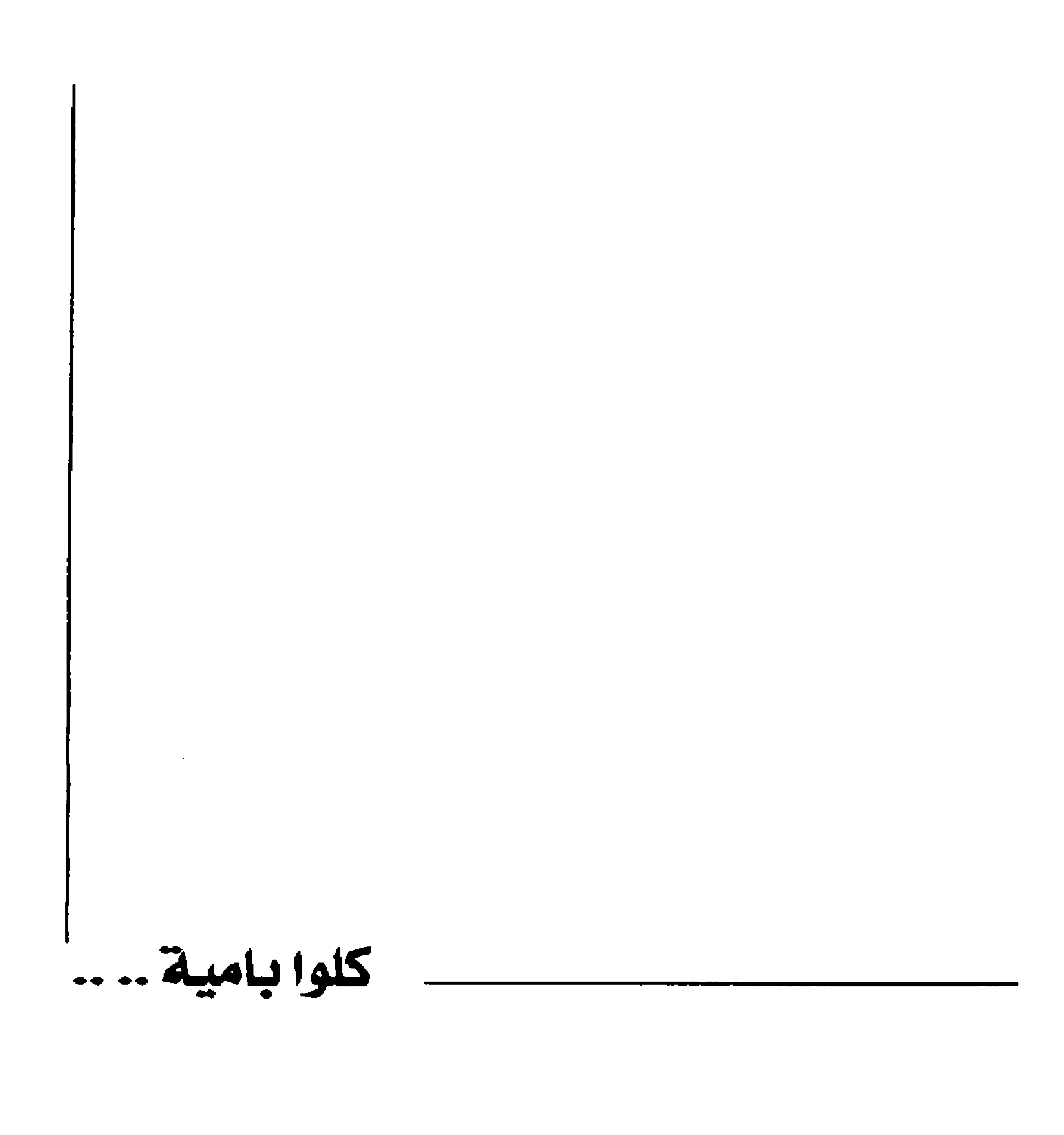
بسذاجة دفعت القرش كاملاً .. .. ظل القرش اليومى هو صيغة التعامل بينى وبين الخفير .. .. ذات يوم رأيت هريدى يناول عمى نقوداً وينظرا إلى ويتضاحكا .. .. دار بخلدى أنهم يتقاسما ما أبتزاه منى .. يوماً بعد يوم بدأت أدرك حجم الابتزاز .. .. نصف مصروفى يُؤخذ منى ،

فلولا الهريدى وعمى سامى وقصر قامتى لامتلكت فى نهاية الإجازة خمسون بليه ألوان .. .. ثروة سأبز بها كل أصدقائى وزملائى فى النادى والمدرسة .. .. سأضع البلى فى صُرة تشبه صُرة عطية السلطان للشاطر حسان منقذ الأميرة كهرمان .. .. ولكن بعُدت الأحلام بُعد حلقة سلسلة الطوفان .

كنت أقف تحت الحلقة على أطراف أصابع قدماى كراقص للباليه ماداً يدى اليمنى إلى أقصى ارتفاعها فارداً أصابعى محاولا الوصول إلى الحلقة .. .. تكرر هذا المشهد يومياً مرات ومرات .. .. الوقوف كراقص الباليه فارداً يدى وأصابعى .. .. لا حظت جدتى دخولى المتكرر إلى دورة المياه .. .. ظنت بى الظنون .. .. زجرتنى .. .. ضربتنى .. .. حبستنى .. .. وأحلامى .. .. كيف أتخلى عن أحلامى ؟ .. .. كنت أتحين دخول جدتى المطبخ أو وقت إطعامها الطير فأقف كراقص الباليه ماداً يدى وأصابعى تحت حلقة الطوفان .

تحطمت أحلامى مع بداية المدرسة على صخرة التهديد والابتزاز .. .. وللأحلام خاصية فريدة إذا تحطمت قهراً كبرت .. .. نمت .. .. تأججت ، وسُومت .. .. ثم .. .. عدت إلى دوار جدى فى إجازة نصف السنة .. دخلتَ أول ما دخلت إلى دورة المياه .. .. وقفت على أطراف أصابعى رفعت يدى ، مددت أصابعى .. .. و .. .. و .. .. لمست الحلقة .. .. بالكاد أدخلت بالحلقة أصابعى .. .. فى حركتين متزامنتين لمسا كعبى الأرض ولامس كوعى بطنى .. .. و .. .. و .. .. و .. .. و .. و .. .. سمعت صوت الطوفان .. و .. عادت صُرة الكهرمان .





كلوا بامية .. ..

فى اليوم الخامس والعشرين من أيام الشهر الأخير من الأشهر الأربعة والأربعين ، الخالية من عمرى ، والمسماة ديسمبر كنت أغفو على كرسى بعد الغذاء .. .. دق جرس التليفون فى رأسى وأرجاء البيت .. .. سمعت صوت ليلى بنت عمتى على الناحية الأخرى من الخط .. .. بدأ الحوار بيننا مقتضباً على أنغام حزينة من نشيجها .. .. كانت المقدمات تشى بمكنون رسالة بنت العمة :

- فوزية بنت عمك اكتشفوا إن عندها سرطان .. .. جوزها تكتم على الموضوع .. .. اضطر يتكلم لما الأمور تدهورت .. .. الحالة ميئوس منها ، الدكاترة قالوا خمس ست شهور بالكتير .

بقلبٍ مكدود .. .. ولسان معقود .. .. وعقل مشدود .. .. إلى شريط من ذكريات .. .. غُصْتُ فى الكرسى .. .. أنتقى من الشريط ما قد يطفئ تأجج الحياة فى حلقى .. .. عمارة بالمنصورة .. .. شقتين متقابلتين مفتوحتا الأبواب .. ..صباحاً حتى المساء .. .. شقتنا وشقة عمى .. .. والد فوزية .. .. أولاد العمارة نلعب ونصخب على سلم عمارتنا وفى مدخلها .. استغماية .. .. عسكر وحرمية .. .. هنود وأمريكان .. .. كلوا بامية .. .. التليفون المكسور .. .. وفجأة تتدثر العمارة صمتاً .. .. تجتمع رؤوسنا الصغيرة على أى راديو بالعمارة .. برنامج بابا شارو .. .. بحروف معوجة تخرج من بين أسنان مخلوعة نطلب من الله ما نريد سماعه .. .. «يا لب .. النهال ده عيد ميلاد أبو الفساد .. يا لب» .. .. عبر الشارع نادى الشبان المسيحيين .. ..

لعب البلى .. .. كرة السلة .. .. البينج بونج (تنس الطاولة) .. .. تفاخر .. .. مشاجرات .. .. مقايضات على البلى .. .. اجتماع الشقتين المتقابلتين على مدفأة جاز وطقطقة أبو فروه فى ليالى شتاء المنصورة الرطب .. .. «بوده» (عبود) إبن الجيران يمسك كتاب أغانى عبد الحليم حافظ .. .. يُجلس أولاد العمارة على السلم ويغنى لنا أغنية «ظلموه» .. .. حقا ظلموه !!!! .. .. بواب العمارة يمثل كل صباح دور القاطرة البشرية .. .. يجر عربات من أولاد السكان .. .. عربات مربوطة فى جلباب «عم خميس» ويديه .. .. يُسقطُ فى كل مدرسة عربتها .. .. أنا أكبر العربات .. .. فوزية أصغر العربات .. .. تصغرنى بثلاث سنوات .. .. دائما هادئة رقيقة .. .. وذات شخصية ، انتقل عمى إلى القاهرة ساكناً حي مصر الجديدة .. .. إلى حى الدقى لحقنا بهم فى عامين .. .. زيارات عائلية متبادلة متباعدة لظروف المدارس وبعد الشُقة بين الدقى ومصر الجديدة .. .. زيارات تليفونية طويلة بين والدتى ووالدة فوزية لتقاربهما قلبياً «من أيام المنصورة» .. ثم شريط ممسوح .. .. مرحلة الجامعة .. .. مرحلة المراهقة الناضجة .. أصدقائى أولا .. .. العائلة ثالثاً أو رابعاً مع الرأفة وحسن الأدب .. .. فى أي جامعة كانت فوزية ؟ .. .. فى أى كلية ؟ .. .. صور بيضاء من بداية الجامعة حتي سنة بعد تخرجي .. .. ثم لقطات تتدفق بحيوية لقطات تكاد تتجسد أمامى .. . زيارات منزلية متبادلة أعلى من المعدل بين والدتى وزوجة عمي .. .. تطورت الزيارات بينهما .. .. غذاء بالنادى .. .. سينما .. .. مسرح .. .. مخطط غزلته والدتى .. .. انضمت إليه زوجة عمى .. .. انضمام باتفاق غير منطوق .. .. بنوده

فوزية وأنا .. .. وعت الأنثى الذكية المخطط والاتفاق .. .. سترت وعيها .. .. ستراً يزيد الجمال جمالاً .. .. أنا غير مرتبط .. .. لن أجد ارتباطاً خيراً من هذا .. .. فوزية وأنا .... ينقص ارتباطنا شئ ما ، رسالة فى نظرة .. .. رعشة فى لمسة .. .. ضحكة فى همسة .. .. ينقصه هفوة عقل .. .. هفا قلب .. .. جذوة حب .. .. ينقصه ملح .. تحولت فى المخطط من مفعول به إلى فاعل .. .. ذهبت وفوزية نبحث عن ملحنا .. .. حفلات الموسيقى العربية .. .. اوركسترا القاهرة السيمفونى .. .. فيلم جيد .. .. حفلات لدى أصدقاء .. .. غذاء هنا .. عشاء هناك .. .. وبدون إعلان بيننا .. ..كنا نبحث ونتعرف .. .. فى محيط عائلى نبحث .. .. فى مناقشات بيننا نتعرف .. .. وبعد بضع شهور .. .. فى يوم من الأيام .. .. أصدرنا إعلانًا .. .. فى صمته خير بيان .. .. سوياً ، لن يكون لنا عنوان .. .. ثم خُطِبَت فوزية وتزوجت .. .. ولبضع سنين سافرتْ .. .. ثم .. .. شريط من الذكريات، تباعدت فيه المسافات .. .. وتباعدت .. .. وتباعدت .. وتباعدت .

ذهبت أعود فوزية .. .. كانت على سريرها نصف نائمة نصف جالسة .. .. مغطاة بأردية السرير .. .. على كتفيها شال من الصوف ، وجهها وقد غطته بقع بنيه اللون .. .. قمر تغطيه سُحُب محملة .. .. تنذر ببكاء آت .. .. تهلل وجه فوزية وأنا أخطو لغرفتها .. .. لاح القمر من وراء الغمام .. .. كم أنت جميلة .. .. والأجمل من جمالك .. قوتك .. .. آنى لك تلك الابتسامة ؟ .. .. آنى لك تلك القوة ؟ .. .. إنكِ أمام المجهول الأعظم .. .. الموت .. .. بإطلاله عليكِ .. ..

ارتعدت أنا .. .. وابتسمت أنت .. .. هل هذا هو التسليم ؟ .. .. من أين يأتى التسليم ؟ .. .. ومن أين تأتى قوة التسليم ؟ .. .. مدت لى يدها .. .. أخذتُ خطوة كبيرة كى لا أبقى يدها معلقة .. .. احتضنتُ يدها بيداى .. .. فاحتضنت حضنى بيدها اليسرى .. .. كنا أربع أكف تعلو بعضها البعض .


أكف تعلو بعضها البعض .. .. سلم عمارة المنصورة .. .. نلعب كلوا بامية .. .. ك ل وا ب ام ى ة .. .. ثم أكف تنظر إلى السماء .. وأكف تتجه إلى الأرض .. الخاسرون اسودت وجوههم .. .. الفائزون يترقصون .. .. يقفزون مهللين .. .. فرحين .. .. متفاخرين بوهم ذكاءهم .. .. فلولا ذكائهم لكانوا الآن من الخاسرين !!!

أكف تعلو بعضها البعض .. .. رمال هضبة الأهرام .. .. رحلة المدرسة .. .. اختار «الشن» (الشناوى) فريقه للكرة .. .. اختار «سمسم» (حسام) فريقاً ينقصه لاعب .. .. عليه أن يختار بينى وبين «سلومه» (عبد السلام) .. .. «الأتنين» مابيعرفوش يلعبوا كورة .. .. يعملوا كلوا بامية واللى يكسب اخده يقف جون (حارس مرمى) » .. .. دخل «سمسم» كمساعد فى «الكلوا بامية» بينى وبين «سلومه» .. .. ك ل و ا ب ام ى ة .. .. مُ س ا ع د ة .. .. فاز «سلومه» .. .. العجل .. .. وقفت خارج الملعب اندب حظى وأنا كظيم .. .. أتابع المباراة وأغبط «سلومه» على ما هو فيه .. .. اشتدت حرارة المبارة والشمس .. .. شاط « الشن » شوطه قوية .. .. أراد «سلومه» أن يثبت جدارته ويزود عن مرماه .. .. نزل على رجله اليمنى .. .. رفع يديه فى اتجاه الكرة .. .. غيرت الكرة اتجاهها إلى خارج المرمى .. ..

ارتمى «سلومه» على الأرض مستدراً الإعجاب .. .. مقلداً حراس المرمى الحقيقيين .. .. ارتجت هضبة الأهرام بصرخة ورجع صداها .. .. زجاجة مكسورة .. .. فى الرمل مدفونة .. .. لها نصل كالسكين .. .. دخلتْ فى بطن المسكين .. .. نُقلَ «سلومه» إلى المستشفى ينزف .. .. أجريَتً له جراحة خطيرة .. .. أَمسيتُ وأنا اهذى .. .. فوضعوا الثلج على رأسى .. .. وفى اليوم التالى .. .. أخى يقلد هذيانى .. .. فيردد ضاحكاً متقلباً فى السرير .. .. «مين اللى كسب فى الكلوا بامية أنا وللا «سلومه» ؟؟؟» .. .. «الواحد ما يعرفش هو كسب وللا خسر فى الكلوا بامية إلا بعد الرحلة ما تخلصٌ» .. .. « الواحد ما يعرفش هو كسب وللا خسر فى الكلوا بامية إلا بعد الرحلة ماتخلصْ» .. .. «من اللى كسب فى الكلوا بامية أنا وللا «سلومه»؟؟؟» .. ..

وبينما أنا أغادر فوزية كنت على يقين بأن إحدى لاعبات الكلوا بامية قد أعلنت عن اعتزالها .. .. القريب .

«أنا بـ .. استناك» *



فى اليوم التالى لإجازة عيد الأضحى كنت ومديرى على مشارف القاهرة فى طريق عودتنا من رحلة عمل .. .. كان ذلك من ربع قرن ، بل يزيد .. .. وتحديداً ، كانت الساعة الثانية وسبع دقائق من ظهر يوم الثلاثاء ١٧ فبراير سنة ١٩٧٠ .. .. انطلقت صفارات الإنذار فى أرجاء القاهرة معلنة عن بدأ غارة جوية على القاهرة وضواحيها .. .. الصفارات تدوى وراديو سيارة مديرى يعلن عن أغنية لنجاة الصغيرة .. أغنية «أنا بـ .. استناك » .. .. همت يدى أن تغلق الراديو .. .. غالبت نفسى .. .. فالسيارة ليست سيارتى .. .. والمذياع ليس مذياعى .. .. وليس من حقى أن أغلق الراديو .. .. كما أن خريج كلية علمية وعملية مثلى يجب ألا يتعلق بأهداب الخرافات من تفاؤل وتشاؤم ، لقد مرت على الواقعة أربع سنوات .. .. الآن ، على أن أتخلى عن تشاؤمى .. .. سنوات أربع مرت على اليوم الذى فاضت فيه روح والدى فى دقائق وبلا أى مقدمات .. .. كانت أغنية «أنا بـ .. استناك» تصدح من الراديو بجوار سريره .. .. قاومت شعور الفقد .. .. شعور التخلى .. .. أن يتخلى عنك إنسان بدون ما سبب .. .. غير أنه مات ، رائحة الموت تلفنى .. .. تتسلل إلى عبر مسامى .. .. قلبى كرة من الصلصال ، شديدة البلل ، يعتصرها نحات مفتول العضلات .. .. قاومت شعوراً كئيباً يملأ ذاتى .. .. لأول مرة منذ أربع سنوات استمع إلى أغنية «أنا بـ .. .. استناك » .. .. مع نهاية الأغنية أعلنت صفارات الإنذار انتهاء الغارة .. .. تلت أغنية «أنا بـ .. استناك »

أغنيـة ثانيـة ثم ثالثـة .. .. أعلن بعدهم راديو السيـارة تمام الثـانيـة والنصف من إذاعـة القـاهرة .. .. نـشـرة الأخـبـار .. .. « انتـهت منذ دقائق غرة جوية قامت بها طائرات العدو من طرازى سكاى هوك وفانتوم فى عـمق دفـاعـاتنا على منطقـة دهشـور جنوب القـاهرة .. وقـد قـامت قـواتنا بالتصدى لطائرات العدو وإسقـاط طائرتين من طائراته المغيـرة .. كما استشهد خمسة من أفراد قواتنا المسلحة».

- والله تلاقى الخمسة دول خمسين .

قالها مديرى بمرارة تبعها متهكماً :

- وتلاقى الطيـارتين اللى بيـقـولوا عليـهم دول تنكات البنزين اللى بيوقعوهم من الطيارات وهما راجعين علشان يخففوا الحمولة .

قلت باقتضاب فى محاولة واضحة لإنهاء الحديث :

- يمكن .

فرد على بنبرة صوت لا تخلو من واقع السلطة بيننا :

- يعنى إية يمكن .. .. أنت مش فـاكر أيام الحرب قعدوا يقولوا لنا بشرى يا عرب أسقطنا خمسين طيارة تمانين طيارة وبعدين طلع بعد كده أن لا هما أسقطو لنا طيارات ولا إحنا أسقطنا لهم طيارات .

رنت ضحكة من مديرى جمع فيها شتات مرارته .... أعقبها قائلا :

- مش يمكن .. .. دا هو كده بالتأكيد .

أيقظت كلمات المدير شعوراً كان قد نام واستكان داخلى بعد انتهاء أغنية «أنا بـ .. استناك » .. .. شعور التخلى .. .. أملا وحلماً .. .. شعور الفقد .. .. طريقاً وأماناً .. .. شعور اليتم .. .. لا .. .. اليتم النفـسى .. .. شـعـور القـهـر والنكسـة .. .. بل الهـزيمة .. .. شـعـور

الضياع .. .. أردت أن أنهى الحديث فقلت له وأنا متشاغل بكتاب فى يدى :

- يا خبر بفلوس بكره يبقى ببلاش .

فرد على وهو مازال متقمص لهجة المدير ذو السلطة :

- دا أنت واصل بقى وإحنا مش عارفين .. .. ولا يكنش لَكْ قريب فى المخابرات .. .. مش تقول لنا يا أخى علشان نخاف منك .

ضحك المدير معبراً عن متعته بالسلطة التى بين يديه .. .. أقفلت الكتاب ووجهت كلامى إليه مباشرةً متصنعا البراءة :

- لا .. .. أنا ليه واحد صحبى فى دهشورح ييجى إجازة يوم الخميس .. .. تحب أقول له أن حضرتك عايز تعرف فيه كام واحد ماتوا فى الغارة وكام طيارة وقعت ؟

ابتسمت من داخلى لردى ، ومهنئاً نفسى على خبثها .. .. فسؤال كهذا فى بداية سنة ١٩٧٠ كان كفيل بأن يجر على السائل مشاكل لا حصر لها مع أجهزة الأمن .. .. والعاقل من كان بينه وبين أجهزة الأمن ومشاكلها ، فى كل مكان وزمان ، بعد المشرقين .. .. أراد مديرى أن يعيد الكرة على ويسبر غورى إن كنت كاذباً ليُخرجَ نفسه من الهوة التى صنعتها له .. .. قال بلهجة آمرة مباشرة وسريعة :

- مين صحبك ده ؟

أجبت بلا تردد وعلامات البراءة مازالت مرسومة على وجهى :

- محمد .. .. ما سيادتك عرفه .

لم تواته نفسه أن ينهى الحديث وهو على موقف ضعيف من علاقتنا ، قال وقد أراد أن يرد لى الصاع صاعين :

- آه .. .. مش ده صاحبك اللى دماغه طقه زيك ؟

ابتسمت وأنا أعرف ما يقصده :

- أيوه هو .

- بقى بالذمة فيه ناس عاقلة بعد ما تتخرج من كلية الهندسة جامعة القاهرة أعلى مجموع فى البلد تقوم تنتسب لكلية الآداب اللى ما بيدخلهاش اللا الصيع بتوع الثانوية العامة اللى مش لقيين كلية يدخلوها .

سكت برهة ليفسح لى وقتا أدافع فيه عن موقفى .. .. أجبت باقتضاب مضيعاً عليه أن أقف منه موقف المدافع :

- أمزجة .

رد المدير بحنق وتهكم :

- أمزجة إيه المنيلة دى .. .. واللى زاد وغطى أنكم رايحين قال تدرسوا إيه .. .. قال فلسفة قال .

قلت بطريقة إخبارية وقد عاودت تصفح كتابى :

- لا .. .. أنا فلسفة وهو تاريخ .

خلع مديرى فجأة نبرة التهكم السلطوى وألبس صوته نبرة أبوية حانية :

- طيب مادام يا ابنى أنتم أصحاب قوى كده ما دخلتوش قسم واحد ليه ؟

شعرت بتغير فى مدخله إلى لعبة السلطة بيننا .. .. فمن سلطة المدير إلى سلطة الأب .. .. سلطة خلعها على نفسه بنبرة صوت وكلمة «يا ابنى» .. .. قلت متلاعباً به :

- عشان نعمل دويتو .
- يعنى إيه دويتو ؟
- يعنى ثنائى .
- ما أنا عارف أن دويتو يعنى ثنائى .. .. لكن إزاى يعنى ؟
رسمت على وجهى تعبير .. .. أسماه أحد أصدقائى تعبير «الجدية الممتزجة بالبلاهة!!» .. .. وقلت لمديرى :
- يعنى زى صالح سليم ورفعت الفناجيلى .. .. بوشكاش ودى ستيفانو .. .. جمال وطروب .. .. فريدة فهمى ومحمود رضا** .. .. حاجة زى كده يعنى .
قال بحده مخففه هى مزج بين حدة المدير المتسلط والأب الحانى :
- أنت بتهزر ؟
قلت وأنا مازلت أرسم تعبير الجدية الممتزجة بالبلاهة على وجهى :
- أنا يا أفندم .. .. لا أنا ما بهزرش .. .. سيادتك بتقول كده ليه، لا سمح الله هو أنا قلت حاجة غلط ولا إيه ؟
قال بغضب حائر بين المدير والأب من ناحية والجدية والبلاهة من ناحية أخرى :
- إيه علاقة النيلة الفلسفة بالكورة والرقص ؟
ابتسمت فقد دخل مديرى العزيز إلى الدوامة المنصوبة لسيادته .. .. قلت بجدية شديدة خالية من تصنع البلاهة :
- كل حاجة فى الدنيا أصلها فلسفة .. .. وكل واحد فى الدينا دى عنده فلسفة .. .. هو يعرف أن عنده فلسفة وللا ما يعرفش ده موضوع تانى .. .. يعنى مدرب الكوره وهو بيحط الخطة بيبقى عارف هو عايز

يكسب وللا يتعادل وللا حتى يخسر .. .. هى دى الفلسفة بتاعته .. وعلى الأساس ده بيحط الخطة .. .. يهاجموا .. .. يدافعوا .. .. يضيعوا وقت .. .. ما يلعبوش خالص .

توقفت لنفس من السيجارة ثم عقبت بعدها قائلا :

- يعنى الكورة لها فلسفة .. .. والرقاصين كمان لهم فلسفة .

أكملت بصوة أشبه بالهمس ولكنه مسموع :

- و .. .. فيه ناس كتيره قوى متبنيه الفلسفة دى .

كانت مواعيد العمل بالشركة قد انتهت عندما قاربنا الوصول إلى مقرها لأستقل سيارتى .. .. قررت أن أرمى لمديرى طعم إرضاء لغروره ، إذا التقطه سأضربه ضربه موجعة فى اللعبة الدائرة بيننا .. .. أكملت حديثى بعد نفس أخر من السيجارة وقد بدأت أستعيد تعبير الجدية الممتزجة بالبلاهة :

- وبصراحة أنا قلت صالح سليم وفريدة فهمى وكده علشان ما حبتش أقول كلام تخين .. .. كلام كبير يعنى .. .. يمكن ما يجيش على هوا سعادتك .

قال بنفس نبرة الغضب الحائر وإن كانت أقل حدة :

- كلام كبير وما يجيش على هوايا ليه .. .. مش ح أفهمه يعنى ؟

كان تعبير الجدية الممتزجة بالبلاهة قد اكتمل على وجهى فقلت :

- لا ما اقصدش .. .. أنا مش عارف ليه سيادتك بتاخد كل كلامى غلط ؟ .. .. والله حضرتك ظالمنى أوى .

كنا قد وصلنا إلى مقر الشركة فأوقف مديرى سيارته وأخذ ينظر إلىَّ بحيرة منتظراً ما سأقوله .. .. فألقيت إليه بطُعمى :

- يعنى أنا كان قصدى دويتو كده زى كارل ماركس وفريدريك إنجلز .

همّ السيد المدير أن يسألنى سؤال ولكنه تراجع عنه وقرر أن يلتقط الطعم بحماس :

- أنا كلامى ما ينزلش الأرض أبداً .. .. أنا نظرتى دائماً فى محلها وعمرها ما تخيب .. .. أنا من يوم ما شفتك فاطر وبتشرب سجاير فى رمضان قلت الولد ده شيوعى .. .. أنا كنت عارف .. .. والله كنت عارف .. .. والله أنا كلامى ما ينزلش الأرض أبداً .. .. أنا قلت لهم فى الشركة أنك شيوعى وهما ما صدقونيش .

هكذا حدد السيد المدير هويتى الفكرية والسياسية من سيجارة أدخنها .. .. أشاع بعدها ، فى أرجاء الشركة ، تحليله السياسى عن اتجاهاتى .. .. كان ردى جاهزاً من شهور .. .. ينقص الرد أن أنصب السيرك لمديرى ليعترف أمامى بأنه مطلق الشائعة .. .. وقد كان .. .. وفى اللحظة التى كان على أن أتجرع كأس انتصارى عاودنى شعور اليتم .. .. شعور الضياع .. .. شعرت بضياعه هو الأخر .. .. ضياعنا الجماعى .. .. لحظة لاح لى فيها عمى عندما ترقرقت عيناه وهو يحدثنى عن والدى .. «أبوك لما مات قطع بيه أوى .. .. بعد كده فرحت له أوى لأن ربنا رحمه وما شفش فى حياته سنة اسمهاسنة ٦٧» .. لعنت اليوم الذى جعل من هذا المدير وأمثاله ، وهم كثر ، مديرين ورؤساء .. .. كيف انتصر عليه وقد هزمت الهزيمة كلانا ؟ .. .. قررت أن يكون ردى مخففا وليس عدوانياً كما رسمته مخيلتى من شهور .. .. كما داخلنى خاطر بأن احتمى ، أنا الموظف الصغير ، من شر سلطة المدير .. .. ابتسمت ابتسامة واسعة ألقت بظلالها على عيناى .. ..

كنت أهم بفتح باب السيارة عندما قلت لمديري بصوت ضاحك متوافق مع ابتسامتي :

- على فكرة ، حضرتك ، مش بس الشيوعيين هما اللي بـ يفطروا في رمضان .. .. فيه كمان « المرضى» .. .. واللي «على سفر» .. .. و«الذين يطيقونه» .. .. كل دول مسموح لهم يفطروا في رمضان .

اتسعت ابتسامتي وأنا أرى وجه المدير وقد بدأ يسترخي فعقبت قائلا :

- الكلام ده موجود في سورة البقرة .. .. الآية ميه حاجة وسبعين .. ميه حاجة وثمانين .. .. في الحته دي .. .. فـ .. اشمعنى حضرتك سبت كل دول وقلت عليه أني أنا شيوعي .

بزغ فجر ابتسامة المدير .. .. زادت ابتسامتي اتساعاً استجلاباً لضحى ابتسامة سيادته .. .. تغيرت نبرات صوتي فكنت كما يذيع سراً خطيراً :

- وعلى فكرة أنا أعرف ناس شيوعيين بيصوموا في رمضان .

كانت ابتسامة مديري قد وضحت فتلونت مخارج ألفاظي ونبرات صوتي برنة ضاحكة وأنا أكمل كلامي :

- وأعرف كمان ناس كانوا إقطاعيين ورأسماليين وعمرهم ما صاموا في رمضان .. .. فـ اشمعنى أنا والشيوعيين اللي سيادتك وقعتنا من قعر القفة .

فتحت باب السيارة وأنا مازلت أنظر ناحية المدير .. .. لاحت نظرة في عينيه لم أتوقعها من تلك الشخصية الجافة المتسلطة .. .. نظرة حب أبوي حقيقي .. .. نظرة دافئة لامعة فيها حبور ورجاء وأمل .. كمدفئة متقدة من رخام أبيض مصقول لامع تجمله خيوط سوداء رفيعة داكنة ..

خيوط مصنوعة من شفقة أب على ابن لم تعركه التجارب بعد .. خرجت من السيارة وأغلقت بابها ونظرت من نافذتها إلى الداخل وقلت :

- أي أوامر .

قال وهو يجاهد لإخفاء النظرة الأبوية :

- ما تشوف لك أنت ومحمد صاحبك حاجة مفيدة تعملوها بدل الفلسفة بتاعتكو دي .

قلت ومازالت أثار الابتسامة على وجهى :

- حاجة زى إيه يعنى ؟

- شوفولكم واحدة تتجوزوها .. .. أو حتى ترافقوا .

اتسعت ابتسامتى وقد تيقنت من رصيدى لدى المدير فعلقت قائلا :

- والله أنا ومحمد ما بنفترقش خالص .. .. لو فيه « واحدة » ترضى تتجوزنا إحنا الاثنين ما فيش مانع .

أشاح مديرى بيده يأسا من نزق الشباب .. .. ثم أدار سيارته وانطلق .

فى اليومين التاليين قمت ومديرى باستكمال المرور على مصانع الشركة خارج القاهرة .. .. كانت عودتنا يوم الخميس ، إلى أسفل مقر الشركة حيث سيارتى ، حوالى الساعة السابعة مساءً .. .. كنت على موعد مع صديقى الملازم أول أسامة فى الثامنة عند انتهاء ورديته فى غرفة عمليات الدفعا الجوى بيدروم دار القضاء العالى .. .. كان مكان اللقاء هو موقف السيارات المواجه لدار القضاء العالى .. .. كنت افتح باب السيارة ، أسفل مقر الشركة ، عندما تذكرت أن محمد لا يعرف بأن الشلة ستتقابل فى صالة بلياردو نادى ضابط الزمالك الساعة الثامنة

والنصف .. .. أعدت قفل باب السيارة .. .. أمسكت سلسلة المفاتيح في يدى قاصداً كشك السجائر لأبلغ منه محمد تليفونياً بلقاء الليلة .. ترابطت تداعيات عقلية ، وأنا مترجل إلى الكشك ، بين مفاتيح السيارة في يدى وبين محمد عندما فوجئ ، في إجازته من دهشور ، بشرائي سيارة :

- اشتريت عربية .. .. دا أنت زى المثل اللى بـ يقولوه .. .. «عامل اشتراكي .. راكب ملاكي » .. .. أنا طول عمرى بقول أن أصلك الإقطاعي بـ ينضح عليك .. .. أنت من يوم ما ابتدأت تشرب كابوتشينو في سيموندس وأنا مش مستريح لك ، حاسس أن لك تطلعات برجوازية عفنة .

- لا .. .. لا .. .. دا أنا اشتريت العربية دى لأنى اشتراكي صميم.

- أيوه .. .. خمسة فلسفة من بتوعك .. .. إزاى بقى يا فيلسوف عصرك وأوانك ؟

- شوف ياسيدى .. .. هو صن يات صن *** قال إيه ؟

قال محمد بضجر مصطنع :

- قال كلام كتير .

- لا .. .. أشهر حاجة قالها .

- قال « الأرض لمن يزرعها » .

- لا .. .. هو قال «الأرض لمن يفلحها » .. .. يا فالح .. .. مش مهم يزرعها يفلحها إحنا مش ح نتخانق على هيافه .. .. أنا رحت بلدنا واديت الفلاحين فدان وقلت لهم «الأرض لمن يفلحها » .. .. أهوه ، أنا

بـأطبق الاشتراكية تطبيق حرفى زى ما أنت شايف .. .. طبعا أنا أخذت منهم فلوس .. .. مـا تبـصليش كـده .. .. أمـال عـايزهم يقـولوا عليـه اشـتـراكى أهبل .. .. دى حـتى تبـقى عـيـبـه فى حق الاشـتـراكيـة والاشـتـراكيين .. .. وبعـد كـده سألت نفـسى سؤال فـرضى جدلى نظرى بحت «لو كان صن يات صن معاه فلوس .. .. أنا بأقول لو .. .. كانه قـال إيه ؟ » .. .. قلت لنفـسى طبعـاً كـان قـال بواقـعيـة شـديدة جداً «الفلوس لمن يصرفها » .. .. وبعـدين قلت يا واد يا سقـراط ح تصرف الفلوس دى إزاى عـــلشـان تبقى اشـتـراكى بحق وحقــيقى .. .. قــلت ما فيش غير أن « العربية لمن يركبها » .

وضعت يدى على السيارة وأكملت :

- ودى بقى التطبـيق العـملى للاشـتـراكـيـة .. .. لا .. .. ومش أى اشتراكية .. .. دى الاشتراكية «العربية» بشحمها ولحمها .

وهنا فتح محمد ذراعيه بطريقة مسرحية وقال :

- حبيب قلبى .. .. دا أنا مصاحب أبو الاشتراكية ومش واخد بالى .

بعدها أخذت محمد فى جولة بالسيارة إذ قال بعد صمت :

- على فكرة أنا اكتشفت أن العربية دى يسارية أكثر منك .

فقلت له :

- اشمعنى .

قال وهو يقهقه :

- اصلك يا منيل كل ما بـتحود يمين .. .. العربية بـتحدف شمال .

اتصلت تليـفونياً بمنزل مـحمد فـأخبرتنى والدته بتوقـعها وصوله بين دقيـقة وأخرى لفوات وقت أوبته بأكثر من ساعـتين .. أبلغت الأم بميعاد

صالة البلياردو بنادي الضباط .. .. ركبت سيارتي متجهاً للقاء أسامة، كانت الساعة قد تخطت السابعة بدقائق قليلة عندما تركت سيارتي في موقف السيارات أمام دار القضاء العالي .. .. ذهبت عبر الشارع إلى أمريكين سليمان باشا لفنجان من القهوة تسكعت بعده ملقياً النظر على المكتبات المحيطة استهلاكا للوقت حتى الثامنة .. .. في تمام الموعد ومكانه كنت أنتظر أسامه مستنداً على ظهر سيارتي التي تفصلني ببضعة أمتار عن السور الحديدي لدار القضاء .. .. إضاءة الشوارع مطفأة ، إلا قليلا ، تحسباً من غارات ليلية .. .. عمارات عن اليمين وعن الشمال .. .. السواد الأعظم من نوافذ العمارات مغلقة .. .. فمباني وسط القاهرة أغلب شاغليها شركات ومكاتب وعيادات في راحتهم مساء الخميس وامتداداً لإجازة عيد الأضحى .. .. الطبق الفضي اللامع مكتمل الاستدارة معلق في السماء يرش غلالة من الفضة على المباني القديمة المهجورة .. .. دار القضاء العالي بأعمدته وطرازه المعماري المهيب تعلوه بحيرة من الفضة المتلالئة تنحدر منها شلالات تضئ بعض جوانب الدار وتنحسر عن البعض الأخر فتزيده مهابة .. .. سرت في جسدي رجفة وقشعريرة من لسعة برد شاردة ضخمت في نفسي الرهبة من الهجر ذو القدم المهيب المتلألئ المتشح بالسواد .. .. رأيت في الظلام ومن خلف أسوار دار القضاء شخصاً في هيئة أسامة بحلته العسكرية ولكنه على العكس منه تماما .. .. فمن رأيت كان منكباً على نفسه مطاطئ الرأس بطئ الحركة يجر رجليه جرا .. .. خرج الشخص من وراء الأسوار .. .. ولعجبي كان هو أسامة .. .. رفع رأسه ليعاين

موقعى .. .. لمحنى ثم سقطت رأسه على صدره مرة أخرى .. .. وهو على خطوات منى ، غير ناظر إلى ، عاجلته قائلا :

- ما تبقاش عيل وتقول أنك تعبان ومش ح تيجى معانا نادى الضباط .

كان كمن لم يسمعنى .. .. خطى أسامة الخطوات الباقية حتى وصل إلى السيارة .. .. للمحة رفع رأسه ونظر فى عيناى ثم أطرقها ثانية .. قال وهو ينظر إلى سقف السيارة التى تفصل بيننا :

- لا .. .. إحنا مش رايحين نادى الضباط .

قلت بحنق شديد :

- والله أنت كلكم عيال وما لكمش كلمة .

نظر إلى نظرة أكثر ثباتا عن نظرته السابقة ولم ينطق فأكملت حنقى

- طيب زمان محمد رايح نادى الضباط .. .. حد قال له ح نتقابل فين ؟

تركزت عيناه فى عيناى وقال وهو يضغط على كلماته :

- لا .. .. ما حدش قال له حاجة .. .. وهو مش رايح النادى .

انتظرت كى أسمع حل اللغز .. .. فقال بنفس نبرة للصوت وإن تخللها تهدج :

- محمد استشهد .

أكمل أسامة وأنا أحملق .. .. نظراتى ثابتة على كون ثابت لا حركة فيه .. .. عالم أنظر إليه ولا أنتمى له .. .. الشئ الوحيد الذى يتحرك فى الكون هو صدرى علواً وهبوطاً فى انتظام سريع مع ضربات قلب أسرع :

- محمد مات فى الغارة بتاعة أول امبارح على دهشور .

«يا أولاد الكلب » .. .. صرخه دوت فى وسط القاهرة .. .. هى شظية واحدة من انفجار ما يزال صداه يتردد داخلى .. .. أخذت بعدها أضرب بقبضتى على سطح السيارة منتحباً .. .. «قتلوه .. .. أولاد الكلب قتلوه .. .. لو ما كنتش سمعت الأغنية ما كنش مات .. .. أنا السبب .. .. أولاد الكلاب قتلوه وأنا السبب» .. .. ما أتذكره من تلك الليلة هو النذر اليسير .. .. أسامه يقول لى بتأكيد « أهله لسه ما يعرفوش .. .. ما حدش يقول لهم حاجة .. .. المخابرات الحربية هى اللى ح تبلغهم بطريقتها الخاصة» .. .. أنا أبكى فى حجرة صالون منزل مديرى وهو يقدم لى عصير ليمون ويطيب خاطرى .

(*) أنا بـ .. استناك : أغنية غنتها المطربة «نجاة الصغيرة» فى مطلع الستينات بالعامية المصرية .

(**) صالح سليم ورفعت الفناجيلى .. .. بوشكاش ودى ستيفانو .. جمال وطروب .. .. فريده فهمى ومحمود رضا : ثنائيات كانت مشهورة فى الستينات .. تجمع بين كرة القدم فى الأول والثانى والغناء فى الثالث أما الرابع ففى الرقص .

(***) صن يات صن : فيلسوف اشتراكى صينى .

- اليوم .. واليوم فقط

وأنا نصف ممدد ، على الأريكة ، وقـع بصرى على اسم المهندس « عبد الحليم ميتكيس »* فى صفحة وفيات الأهرام ، مسبوق بكلمة «المرحوم» .. .. قرأت الفاتحة على روحه .. .. طويت الصحيفة على صدرى .. .. وأغمضت عينى على ابتسامة شجنه .

كانا صديقين .. .. إذا أبتعدا ما تباعدا .. .. فإذا ما تقابلا تواصلا .كأن الحديث بينهما لم ينقطع لسنين .. .. لسنين جمعتهما الغربة . السكن .. .. وزمالة كلية واحدة .. .. لسنوات خمس ، جمعتهما ذكريات جميلة ، سمعت عن بعضها .. .. وأخري، بالتأكيد ، حجبت عنى .. .. قرأت الفاتحة ، للمرة الثانية ، على روح والدى النصف المتمم للثنائى المصرى .. .. رفيقا دراسة الهندسة بجامعة برمنجهام بإنجلترا ، أوائل ثلاثينيات القرن العشرين .

وأنا فى السابعة ، أوائل خمسينات ذلك القرن ، كنا نسكن مدينة طنطا .. .. عرفت وقتها المهندس / عبد الحليم ميتكيس .. .. أو «عمو حليم » كما تعودت أن أناديه .. .. عرفته من خلال ابتسامة نضرة لوالدى .. .. نضارة ذكريات الشباب .. .. «عمك حليم ده كان زميلى في الجامعة فى إنجلترا .. كان بيحب الموتوسيكلات قوى .. وفى يوم اشترى موتوسيكل جديد دفع فيه دم قلبه .. أصل هو كده .. لما يبقى معاه فلوس وتطق فى دماغه ، أنا بأحب الطقمان بتاعه ده قوى ، عارف ليه ؟ .. لأنى ما بأعرفش أعمل زيه .. بس إيه .. دماغه دى كانت شعلة ذكاء .. بعد كام يوم من ما اشترى الموتوسيكل لقى أن

الموتوسيكل صوته زى كل الموتوسيكلات .. والبنات اللى بيعاكسهم . أصل هو كان بيموت فى معاكسة البنات .. ما كانوش بيعرفوا صوت الموتوسيكل بتاعه .. فقرر ، علشان البنات تعرف صوت الموتوسيكل بتاعه ، إنه يشترى سرينه صوتها غريب علشان الموتوسيكل « بابا .. يعنى إيه سرينه ؟» « يعنى زى كلالكس العربية » .. وبعد ما أشترى السرينة قعدنا نحاول نركبها فى الموتوسيكل ما عرفناش .. ركبت معاه نروح للكهربائى علشان يركب لعمك حليم السرينة .. الكهربائى ركب السرينة واشتغلت عشرة على عشرة .. وبعدين حليم سأل الكهربائي : حسابك كام ؟ .. فالكهربائى قال له : هاف كراون «** .. .. يعنى إيه هاف كراون ؟» .. «الهاف كراون ده عملة فضة إنجليزى تساوى ٢ شلن إنجليزى ونص يعنى حوالى ٢٥ قرش مصرى « ياه .. دى تجيب أكتر من ١٠ أيس كريم .. لا .. لا .. الراجل ده غالى قوى !!» .. ..» هو ده بالضبط اللى قاله عمك حليم للكهربائى .. وفى الأخر لما ما اتفقوش على الحساب ، عمك حليم قال للكهربائى : خلاص فك اللى أنت عاملته وأنا ح أشوف واحد رخيص يعملها لى .. وأنا قعدت أخبط عمك حليم فى ظهره علشان يوافق على الهاف كراون وهو يبص لى علشان اسكت .. المهم الكهربائى فك له السارينه .. وإحنا راجعين البيت قلت له : مين الكهربائى اللى حـ يركب لك السارينة بأقل من هاف كراون ؟ .. قال لى : لا دى حـ تركب ببلاش كمان ، هاف كراون إيه الراجل النصاب ده .. قلت له : مين يا فالح اللى حـ يركبها لك ببلاش .. فقال لى : لما نروح البيت حـ تعرف .. ولما وصلنا عند البيت قال لى : أستنى أنت جنب الموتوسيكل دقيقة واحدة وأنا راجع حالا .. طلع البيت ورجع بعد

دقيقة ومعاه طقم المفكات .. وأبتدأ يركب في السرينة وأنا بابص عليه فقال لي وهو بيضحك : أصلي أنا شفت الكهربائي وهو بيركب السارينة فعرفت هي بتركب أزاى فقلت أوفر الهاف كراون وأخذهم أنا بدل ما ياخذهم الإنجليزى الغبى ده .. وبعد خمس دقائق كنا بنحتفل بالغباء الإنجليزى على الطريقة المصرى .. راكبين الموتوسيكل وبنضرب السارينة قدام محل الكهربائى».. .. أخذت أضحك وأنا أتخيل حال الكهربائى الإنجليزى بينما أكمل والدى .. .. «على فكرة أبقى فكرنى واحنا رايحين قهوة الأقصر نبقى نفوت علي السنترال علشان تضرب ترنك لعمك حليم في المحلة .. أصله واحشنى قوى ».

بعد عدة أشهر رأيت عمو حليم ، لأول مرة فى حياتى ، على باب منزلنا .. .. فى دخولهما إلى الشقة قدمه لى والدى :

– ده بقى عمك حليم .

من أسفل نظرت ، إلى عمو حليم ، بتعالى وعلقت قائلا :

– آه .. مش هو ده اللى بيركب موتوسيكل ويعاكس البنات .

لبرهة تبادلا النظرات .. .. فيها آلاف الذكريات .. .. ثم انفجرا فى الضحك .. .. ضحك من القلب يتخلله سعال خفيف لمزيد من هواء الشهيق والضحك .. .. تملك عمو حليم ضحكه لبرهة قال فيها :

– طيب ، أبوك قال لك حكاية العربية بتاعته ؟

نظر إليه والدى نظرة فيها تهديد .. .. يكسوها ضحكات خارجة لتوها من نبع صفاء مشترك .. .. لهما مذاق ثمرة النارنج الأخضر اللاذعة المغلفة بطبقة سميكة من السكر الأبيض .. .. لكم عشقت ، فى طفولتى ، مذاق هذه الحلوى .. .. ولكم أفتقدها الآن .. .. وقال :

- أتلم يا حليم .. الطقـقـان بتـاعك ده مش هنا .. مـراتى والأولاد عارفين عنى كل حاجة .

سكت والدى عن الكلام والضحك .. .. ثم قال بنبرة فيها بقايا من ضحك وكثير من التصنع :

- عرفين إنى طول عـمرى مثال الاسـتقامـة .. وإنى طول عـمرى من الأوائل .

فى فينة رنا عمو حليم أبى .. .. زحفت ابتسامة لتغزو وجهه .. .. أخذ يهز رأسه وكتفيه كمنشد فى حلقة ذكر .. .. بدأ ينشد ووجهه قد ملأته الابتسامة :

- الفـاتحـة للعـسكرى .. خلع الطربوش وعـمل ولى .. .. الفـاتحـة للعسكرى .. خلع الطربوش وعمل ولى ..

انفجر أبى فى الضحك فقد كان ، هو شخصيا ، قد خلع الطربوش ، إلى الأبد ، قبل شهور لم يلتقيا فيها .. .. اختلطت كلماته بالضحك ومشاعر حب جليلة :

- الله يخرب بيتك يا حليم أنت ما تسترش أبدا .

بعد لحظات من ضحكهما أمسك عمو حليم كتفى ، وهو يحاول أن يكتم ضحكته ، قائلا :

- أبوك ده مره كان ح يموتنا .. اشترى ، وإحنا في إنجلترا ، عربية بتلاته تعريفه .. نزلنا نجربها .. كنا نازلين شارع عالى فقـلت لأبـوك « يا أحمد هدى السرعة شوية » .. فقا لى وهو وشه زى الليمونه «هو أنا عـارف أهدى وما هديتش .. العربيـة ما فـيهـاش فرامل » .. كان معانا في العربية واحد اسمه محمود رجب هو سمع كده وده جاءت له

بالضـحك .. قـعـد يضـحك .. يضـحك .. يضـحك .. وأبوك دخل فى شجرة علشان يوقف العربية ومحمود قاعد يضحك .. كنا بـنموت وده مسخسخ على روحه من الضحك .

نظر إلى والدى وكأنه تذكر شئ :

- أنت عندك أى أخبار عن محمود ؟

عندما هما بالجلوس كانت صفحة الماضى ، ذكرياته وضحكاتـه ، قد طويت إلى لقـاء أخر .. .. لقاء بعد أشهـر .. .. وربما بعد سنين .. .. رد عليه والدى :

- والله أخر مرة شفته كان من سنتين .. كنت معزوم فى مصر .. فى فرح واحد قريب المدام .. لقيته هناك .. أنا مش فاكر هو كان يقرب إيه للعروسة .. اتفقنا نتكلم وما حصلش .. أنت عارف .. ..

كنت أنظر إليهما بتعجب وأنا أتقهقر من حجرة الصالون وأغلق بابها بينما كانت والدتى تعد المائدة التى من عليها وجه عمو حليم حديثه لها :

- أهو الأولاد ما شاء الله كبروا وأظن ممكن بقى تشرفونا فى المحلة، الأولاد يتعرفوا علي بعض وحضرتك برضه تتعرفى على المدام .. إحنا برضه عندنا ولدين زيكم كده ولكن يمكن أكبر شويه .. إيه رأى حضرتك ؟

- والله اللى أحمد يشوفه .

- أحمد ما عندوش مانع .

فى إحدى أيام الخميس ، بعد انتهاء اليوم الدراسى ، كان والدى ، ووالدتى إلى جواره ، يقود السيارة على طريق (طنطا - المحلة الكبرى) السريع .. .. أخى الأصغر وأنا فى المقعد الخلفى .. .. أخذ والدى يسمى لنا عائلة عمو حليم :

- عمكم حليم عنده ولدين .. نبيل الكبير وسمير الصغير
ثم نظر بطرف عينه إلى موقعى فى المقعد الخلفى وقال :
- سمير قدك أو أكبر منك بكام شهر .. على فكرة أنتم ممكن قوى تبقوا أصحاب .. هو ولد ظريف ومؤدب جداً .
أكمل بعد ذلك :
- « ومامتهم » .. مرات عمكم حليم اسمها «طنط جوين» .. بالمناسبة هى مش مصرية .. هى إنجليزية .
وصلنا المحلة قبل غروب الشمس بنحو ساعة .. .. تم تعارف العائلتين .. .. اندلع ظل ألفة الأبوين فى الأسرتين سريعا .. .. غادرت « طنط جوين » مجلسنا لبضع دقائق .. .. عادت وهى تقود «طربيزة» الشاى .. .. براد الشاى ملتحف ، حفاظا على حرارة الشاى ، برداء منتفخ يشبه عمامة خليفة السيد البدوى وهو يطوف بشوارع طنطا متبخترا ، على جوده ، صبيحة يوم المولد .. .. أربعة أقداح للشاى لكل قدح ملعقته الخاصة .. .. أربعة زجاجات « ليمونيتا » .. .. قالب كبير من الكيك الإنجليزى .. .. أطباق .. .. سُكَّرية .. .. وفوط صغيرة أنيقة مطرزة .. .. أشارت « طنط جوين » للأولاد أن يتقدم كل منا لزجاجة من «الليمونيتا » .. .. بينما هى تصب أول قدح من الشاى ، لوالدتى ، قال عمو حليم :
- ده بقى « الفايف أوكلوك تى ».***
ثم أردف بعينين باسمتين :
- ده بقى الوش الإنجليزى .. مراتى حبيبتى أصلها بوشين .

كل مازالت تصب الشاى عندما نظرت إليه زوجته من فوق كتفها .. قالت بعربية باسمة ، ذات لكنه أجنبية ثقيلة ، وبعتاب مشجع مطرز بدلال مصرى الطراز (يقينا ليس إنجليزى الطراز !!!)وكأنها تعرف بقية المونولوج :

- هليم .

اتسعت ابتسامته .. .. وصلته رسالة زوجته .. .. بأنها قد سمعت « سرينته !!! » .. .. فى الهواء .. .. بعث إليها بقبلته .. .. ثم أكمل موجها حديثه إلى والدتى :

- الوش التانى .. الوش المصرى حضرتك ح تشوفيه بكره إن شاء الله .. الوش بتاع الملوخية « البورانى» .. جوين أصلها بتعمل أحسن ملوخية « بورانى » فى بر مصر كله .. أمى علمتها لها .. دلوقتى ساعات أمى تتكلم وتقول أنا جايه لكم بكره وعايزه أكل ملوخية « بورانى » من أيدين جوين .

انتهت « طنط جوين » من تقديم الشاى والكيك للثلاثة الكبار .. بعده قدمت لى قطعه من الكيك .. .. أبديت شكرى رافضا .. .. فعلقت أمى :

- أصله « إنف » .. ما لوهوش في الحلويات .

مدت « طنط جوين » طبق الكيك لأخى وهى ناظرة إلىّ ، قائلة :

- تهب أجيب لك هاجا هرشه .

ضحك أبى وأمى .. .. اتسعت عيناى .. .. وكذلك فمى .. .. فأنا لم أفهم ما قيل أو سبب الضحك .. .. هلل عمو حليم :

- أيوه .. أيوه .. دا أنتى قلبتى لهم على الوش المصرى بسرعة قوى لا وإيه دا أنتى كمان جايبه لهم من قعر القفص .. دلوتى الست ح تقول عليكى أنك إنجليزية من بولاق أو من كرموز .

رأف والدى بحالى مترجما قائلا :

- « طنطتك جوين » بـ تسألك إذا كنت تحب تأكل حاجه حرشة .. يعنى طرشى ، مش ، جبنه حادقة ، زيتون ، حاجه زى كده .

أمضينا ، فى المحلة ، عشية الخميس ونهار الجمعة .. .. لم أرى بعدها « طنط جوين » .. .. أو ولديها .. .. اليوم ، لا أستطيع تذكر ملامحهم .. .. فقد تخطيت الأربعين من عمرى .. .. كل ما أتذكره عن « طنط جوين » ، بعد هذه الزيارة ، هو علبة بلاستيك أنيقة المظهر ، أرسلتها مع والدى ، مملوءة « بدقة » الفول السودانى .. .. لمدة كان إفطارى المفضل ، قبل ذهابى إلى المدرسة ، طبق الفول المدمس بزيت الزيتون مع « دقة طنط جوين » .. أما ما لم أنساه من رحلة المحلة فهو مشهد كان عمو حليم هو المؤدى الوحيد فيه .. . فبعد صلاة الجمعة عدنا جميعا ، إلى منزل مضيفينا ، من نادى غزل المحلة .. .. دخلت « طنط جوين » إلى المطبخ لتعد الغذاء والملوخية « البورانى » .. .. ما أن توارت فى المطبخ حتي أشار عمو حليم بسبابته ناحية المطبخ وقال بابتسامته المحبة المحببة :

« الست دى ح تجننى .. ح تطير برج من نافوخى .. فى يوم كنت واخد إجازة عارضة .. قعدت وفطرت مع جوين والأولاد .. وبعدين قعدت هنا فى الصالة أشرب الشاى وأقرأ الجرنال .. الأولاد فى «أوضتهم » بـ يلبسوا علشان ينزلوا يروحوا المدرسة .. وهما نازلين سلموا عليه وراحوا للباب .. وأمهم طبعا لازم توصلهم لحد الباب »

ثم أكمل بطريقة مسرحية كوميدية :

« وبعدين لقيت حاجة غريبة قوى .. لقيت جوين مسكت رأس نبيل وقعدت تبص على شعره وقربت رأسه قوى من وشها .. قلت يا نهار أســـود ومنـــيل .. جـوين بـ تفلى الواد .. الواد لازم لقط قـــمل من المدرسة .. ضربت كف على كف .. بقى أبن حليم ميتكيس ح يغسلوا له رأسه بالجاز .. ويحلقوا له « زلابطة » ويقعدوه في الشمس .. وكل يوم يدهنوا له رأسه مرهم « بوريك » .. وبعد كده يلبسوه «كاسكيته».. وتبقى رأس الواد « والكاسكيته» بـ يلمعوا زاد وغطى أننى لقيت جوين ماسكة رأس الأخ التانى وبتعمل معاه نفس الحكاية .. بعد الأولاد ما نزلوا جوين جابت فنجان الشاى بتاعها وجت قعدت جنبى .. وبطريقة غير مباشرة حاولت أفتح معاها الموضوع فهى ما فهمتش .. أنا ما كنتش عايز أحرجها ولكن ما فيش فايدة .. هى مافهمتش .. أصل المخ الإنجليزى لما بيتربس ياله السلامة.. أخر ما غلبت قلت لها بالإنجليزى ، هو العيال رأسهم فيها قمل ؟ .. لقيتها استغربت وقالت .. لا طبعا .. قلت لها : طيب « إمال » كنتى بتبصى علي إيه فى دماغ العيال ؟ »

سكت عمو حليم لبرهة علا خلالها الأسى وجهه ثم صوته وهو يسأل :

- أنت عارف يا أحمد الست اللى ح تجننى دى كانت بتعمل إيه فى دماغ العيال ؟

نظر إلى والدى يسأله الجواب .. .. فرد والدى بنصف دورة من رسغه وكفه فى توافق مع رفع حاجبيه وكتفيه ومط شفته السفلى إلى الأمام .. وفجأة امحى أسى عمو حليم .. .. و .. .. من فمه تناثرت .. .. كلمات وقهقهات .. .. من عينيه طفقت .. .. عبرات لؤلؤات .. .. من

صدره كادت .. .. تخرج الآهات .. .. على لحن حب .. .. مزج القرب بالنايات :

- مراتى سليلة عائلات برمنجهام .. قال إيه .. كانت بتقرأ « قل أعوذ برب الفلق » و « قال أعوذ برب الناس » على دماغ العيال علشان ما يتحسدوش .. .. «الولية» بتاعت اللبن الصبح أقنعتها بكده وقعدت كل يوم تحفظها .. ..

المرات التى رأيت فيها عمو حليم تتعدى بالكاد أصابع اليد الواحدة .. .. مرة ، وأنا فى السابعة عشر .. .. كنا قد انتقلنا إلى القاهرة .. .. كان الوقت عصرا عندما رن جرس الباب .. .. كنت أنا الأقرب إليه ففتحته .. .. وجدت أمامي عمو حليم .. .. لم يكن ذلك الرجل المفرود القوام .. .. الأنيق بتواضع .. .. حليق الذقن .. .. ذو الابتسامة الخلابة الذى عرفته .. .. قدته إلى حجرة المكتب ذات المقاعد الوثيرة التى أعرف أن والدى يحلو له أن يستقبل فيها أعزاءه .. .. « أصل كراسى الصالون مش معمولة للقاعدة الطويلة دى علشان الناس بتوع الرسميات إنما كراسى المكتب معمولة للناس اللى مش عايزهم يمشوا » .. دخلت على والدى محراب قيلولته المقدسة .. .. ما إن سمع اسم عمو حليم حتي قفز من سريره متهللا على غير عادته وقت القيلولة .. .. طلب منى أن أجالس ضيفه حتي حضوره .. .. كنت في حجرة المكتب مع الضيف .. .. ثقلت كلماته على شفتيه .. .. تكسرت كلماتى عند أذنيه .. .. ران على المجلس صمت بهيم .. .. إجلالا لوجدان حزين .. منصتًا لرجع أنين .. .. فاقداً لهمس حنين .. .. انفتح باب الغرفة مع صوت والدى ينادي بشوق :

- حليم .

وبدأ يعبر حجرة المكتب ليصل إلى الأريكة التى يجلس عليها صديقه .. .. قام الصديق للتحية .. .. يحمل أثقالا غير مرئية .. .. فى نهوضه ، كانت العبارات تخرج من فمه بغير تجانس :

- أنا محتاج أتكلم معاك قوى يا أحمد .. حاسس إن أنت الوحيد اللى ح تقدر تفهمنى .. أنا جيت من المحلة مخصوص علشان أتكلم معاك .

تسمر والدى فى مكانه قبل أن ينهى الضيف كلامه .. .. لم يصل إلى صديقه .. .. وقال بلهفة :

- خير ياحليم .

ما أنا هم الرجل بالكلام حتي عاجله والدى آمراً بحنان :

- أقعد الأول .. أقعد ياحليم .

جلس عمو حليم متأوها تأوها مكتوما مسموعًا .. .. أتخذ والدى فوتيل فى ذات المكان الذى تسمر بجانبه .. .. قال بحزم رقيق لصديق شبابه وعمره من بعد :

- خير يا حليم .

ساد صمت ثقيل .. .. وقعه علىّ طويل .. .. الرجل ينظر إلى السجادة تحت قدميه وإلى حذائه .. .. أنطلقت عبارته كدوى الرصاص :

- العيال مش فاهمه حاجة .

مرت سحابة ، أخرى ، ملبدة بالصمت .. .. رنا والدى صديقه المطأطئ الرأس المقطب الحاجبين .. .. قطع الرجل صمتنا .. .. خرجت كلماته كراديو مفتاح صوته به بعض من عطب .. .. عبارات متقطعة .. صوت عال حاد .. .. وأخر تسترق السمع لتسمعه :

- جوين تعبت شوية .. الدكاترة قرروا أنها لازم تعمل عملية .. هى كانت عايزة تعملها في إنجلترا .. أخدتها ورحنا إنجلترا .. قلت أهى بالمرة تشوف أخواتها .. الدكاترة هناك كشفوا عليها .. قالوا إنها لازم تعمل فحوصات من أول وجديد .. قعدت معاها ٣ أسابيع وبعدين كان لازم أرجع علشان الإجازة خلصت .. سبتها مع كاتي أختها .. كاتى اللى ساكنة فى «ريدنج» .. علشان تبقى جنب لندن .. وتبقى كمان جنب المستشفى .. وبعد أسبوع من ما رجعت .. جوين بعتت لى تلغراف قالت لى فيه إن الدكاترة قرروا يعملوا لها العملية .. ومن يمكن ٣ أسابيع كاتي بعتت لى تلغراف قالت لى فيه إن جوين عملت العملية والعملية نجحت وهى كويسة وإنها ح تقعد في المستشفى من أسبوع لعشرة أيام وبعد ما تخرج من المستشفى جوين ح تقعد عندها شهر علشان تبقى جنب الدكاترة والملاحظة .

أخذ عمو حليم شهيقا عميقا يكبح به مشاعره التى بدأت تلمع فى عينيه .. .. أزاحهم عن مقلتيه بجفنيه .. .. تدحرج زوج منهم على خديه .. .. رسم أبتسامة باهتة على شفتيه .. .. قال من خلالها :

- عارف المثل اللى بـ يقول " أزاى حال مريضكم قالوا سليمنا مات " .. بعد أربع أيام لقيت جوين باعته ليه تلغراف بتقول إن كاتى ماتت .. وإنهم دفنوها .

سكت للحظة فاضت فيها دمعة من عينه همس بعدها همسا مجروحا :

أنا ما رضيتش أكلم الأولاد فى الإسكندرية وأقول لهم أن خالتهم ماتت . . عندهم مذاكرة وجامعة وامتحانات ترم .. قلت ما فيش داعى

أشوشر عليهم . . أهو لما يبقوا يرجعوا المحلة أبقى أقول لهم إن خالتهم ماتت . . ولما جم المحلة . . قلت لهم الحكاية . . ووريت لهم التلغراف .

صمت للحظة أبتلع فيها ريقه ثم أنفجر بصوت عال :

– العيال مش فاهمة حاجة . . حتى الإنجليزى ما هوماش فاهمينه أودى مدارس وجامعات وأمهم كمان إنجليزية .. وشوية إنجليزى مش فاهمينه . . أعمل لهم أيه أكتر من كده .. دى نصيبه إيه دى .

أكمل بعد صمت طويل ولكن بهمس حزين :

– العيال مسكوا التلغراف وقعدوا يعيطوا ويقولوا إن أمهم هى اللي ماتت .

بحركة عصبية وضع يده فى جيب سترته وأخرج ورقة ثم انتفض واقفا . . . أخذ خطوتين في اتجاه والدى وقدم له الورقة .. .. وهو يعود القهقرى إلى الأزبكية قال :

– أقرأ وشوف النصيبه اللى أنا فيها . . العيال مش فاهمين سطرين الإنجليزى اللى فى التلغراف .

وضع عمو حليم كوعيه على فخذيه .. .. حاملا رأسه على كفيه .. بدا صديقه كما لو كان يحادث نفسه :

– لو هى عايزه تقعد فى إنجلترا تقعد .. أنا مش ممانع .. أنا لما سبتها هناك كان قلبى حاسس .. كنت حاسس أنى مش ح أشوفها تانى حاسس إنها عايزه تقعد فى بلدها . بلدها إيه .. دى بلدها المحلة مش برمنجهام . دى عاشت فى المحلة أكتر ما عاشت في برمنجهام .. يمكن تكون عايزه تقعد مع أخواتها .. أخواتها ح يستحملوها أسبوع أتنين ..

شهر اثنين .. وبعدين لازم ترجع .. أنا مش عارف هي عايزه تقعد هناك ليه .. أنا قلبي كان حاسس . بس دا أنا عمري ما زعلتها .. طيب ، بلاش أنا .. ترجع علشان ولادها ..

مع بداية مونولوج عمو حليم قام والدي من مجلسه ببطء .. بطء يستجمع فيه ذهنه لمواجهة الموقف .. .. خطا الخطوات القليلة حتى الأريكة التي يجلس عليها عمو حليم .. .. ملأ صدره بنفس عميق .. .. يجلو به عقله .. .. ويهدئ به نفسه .. .. جلس إلى يمين صديق عمره .. التفت يسارا واضعا فخذه الأيسر على الأريكة .. ... قاطع صديق مناديًا بصوت رخيم :

– حليم .

رفع الرجل رأسه لمسافة صغيرة .. .. كانت مثقلة فسقطت مرة أخرى على كفيه .. .. ثم أكمل :

– أحمد .. ما تقوليش أنت كمان إن جوين ماتت .

عاد الصوت الرخيم مرة أخرى :

– حليم أرفع رأسك ياحليم .

هذه المره رفعها إلى أعلى ولكن ناظرا إلي السجادة .. .. كانت وجنتاه مبللتين .. .. أمره والدي بنبرة قاطعة حانيه :

– بص لي ياحليم .

كان الرجل كالمنوم مغناطيسيا .. .. يأمر فيطيع .. .. التفت إلى اليمين .. .. وبعد برهة وضع فخذه الأيمن على الأريكة .. .. تقابلا .. .. الركبة في الركبة .. .. والقدم في القدم .. . . ولكن بعـــد لم يتواصلا .. فقد كان أحدهم مطأطئ الرأس .. .. أكمل والدي بنفس نبرة الصوت :

– بص لى هنا .. ورينى وشك ياحليم .

لوهلة قاوم كبرياء الرجل الأمر .. .. ومن له أن يقاوم الحب لأكثر من وهلة ؟ .. .. حب حقيقي .. .. تهاوت تحت سور قلعته أقنعة الكبرياء عرض الوالد كفيه على الساقين المتقابلين .. .. أسلم الرجل كفيه .. فتواصلا .. .. وعبر الأكف جرى نهر الرجلين .. .. فلهما فى جريانه أطمئنان . . .. ففيه شربة للظمآن .. .. ونبعه مخزون حب وحنان .. .. ادخراه تحسبا للزمان .. .. وما كانا عن غدره بعميان .. .. فبالألم يكون الإنسان .. .. من مولده وإلى النسيان .. .. ومن الألم يموت الأنسان .. .. إذا كف الحب عن الجريان .. .. وإلي الكفين استكان الكفان . . .. عندها قال أبى وهو يضغط على كل كلمة :

– مادام أنت بتحبها كل الحب ده .. .. تبقى جوين ما ماتتش ياحليم .

سمعت صوت الدمع .. .. نظر والدى إليّ متداركا وجودى الغير مطلوب .. .. أمرنى بعينيه أن أغادر المكان .. .. خرجت صامتا على أطراف أصابعى .. .. فقد رحل صديقه بعد نحو عام .. .. أحاول اليوم أن أتذكر .. .. ولكنى لا أتذكر .. .. هل رأيت عمو حليم فى الوداع الأخير لصديقه أم لا ؟ .. .. ولا عجب .. .. فعقلى أنا أيضا يسقط لحظات الألم .

فتحت عيناى .. .. قرأت ، بصفحة الوفيات العمود الخاص بالمرحوم المهندس عبد الحيم ميتكيس ، لأتأكد بأنه هو عمو حليم .. ..

فوجدت أنه .. .. زوج المرحومة / جوين لويد ميتكيس ووالد المهندس / نبيل والمحاسب / سمير .. .. طويت الجريدة .. .. قرأت الفاتحة للمرة الثالثة .. .. فاليوم .. .. واليوم فقط ماتت " طنط جوين " .

* الأسماء فى هذه القصة ليست أسماء حقيقية إنما هى أسماء من وحى الخاطر وأى تشابه فى الأسماء ليس مقصوداً

** هاف كراون Half Crown عملة بريطانية متداولة حاليا .

*** شاى الساعة الخامسة بالإنجليزية Five o'clock Tea

الفهرس

صدر من الكتاب الأول

١ - صحراء على حدة	قصص	عاطف سليمان
٢ - دراسة فى تعدى النص	نقد	وليد الخشاب
٣ - حدث سراً	قصص	أمينة زيدان
٤ - رسوم متحركة	شعر	صادق شرشر
٥ - ليس سواكما	شعر	عبد الوهاب داود
٦ - احتمالات غموض الورد	شعر	طارق هاشم
٧ - تدريبات على الجملة الاعتراضية	قصص	مصطفى ذكرى
٨ - كلوديوس	مسرحية	محمد السلامونى
٩ - مسرحيتان من زمن التشخيص	مسرحية	محسن مصيلحى
١٠ - ليكن	شعر	هدى حسين
١١ - أحلام الجنرال	مسرحية	محمد رزيق
١٢ - حفنة شعر أصفر	قصص	محمد حسان
١٣ - يستلقى على دفء الصدف	شعر	عطيه حسن
١٤ - النيل والمصريون	دراسة	حمدى أبو كيله
١٥ - الأسماء لاتليق بالأماكن	شعر	عزمى عبد الوهاب
١٦ - العفو والسماح	قصص	خالد منتصر
١٧ - ناقد فى كواليس المسرح	نقد	مصطفى عبد الحميد
١٨ - أطياف شعرية	نقد	عبد الله السمطى
١٩ - أنا	نصوص	غادة عبد المنعم
٢٠ - سارق الضوء	قصص	ليالى أحمد
٢١ - رجع الأصداء	نقد	جليلة طريطر

٢٢ - شروخ الوقت	شعر	ماهر حسن
٢٣ - أغنية للخريف	قصص	عاطف فتحى
٢٤ - بائع الأقنعة	مسرحية	صلاح الوسيمى
٢٥ - أفراخ الحمام	قصص	شوقى عبد الحميد
٢٦ - كوجهك حين ارتحال الصباح	شعر	خالد حمدان
٢٧ - وشيش البحر	رواية	أمانى خليل
٢٨ - ناصية سليمان	قصص	مجدى حسنين
٢٩ - أغنية الولد الفوضوى	شعر	محمود المغربى
٣٠ - سؤال فى الوقت الضائع	قصص	مدحت يوسف
٣١ - كرحم غابة	شعر	خالد أبو بكر
٣٢ - الآخر	مسرحية	ياسر علام
٣٣ - جمر الأصابع	شعر	أشرف يونس
٣٤ - سقوط ثمره وحيدة	قصص	حسن صبرى
٣٥ - أمسيات عائلية	شعر	سعيد أبو طالب
٣٦ - ملامح وأحوال	نقد	ناصر عراق
٣٧ - كتابة الصورة	نقد	محمد مختار الجنوبى
٣٨ - نتاج الخوف	مسرحية	ناصر العربى
٣٩ - عناصر الإضحاك	نقد	محمد زعيمه
٤٠ - أولى أولّ	قصص	محمد ناصر على
٤١ - وهج الكتابة	نقد	حسان بورقيه
٤٢ - البت مصرية	قصص	مصطفي الشافعى

لجنة الكتاب الأول :

غير ملزمة بإعادة أصول الأعمال إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

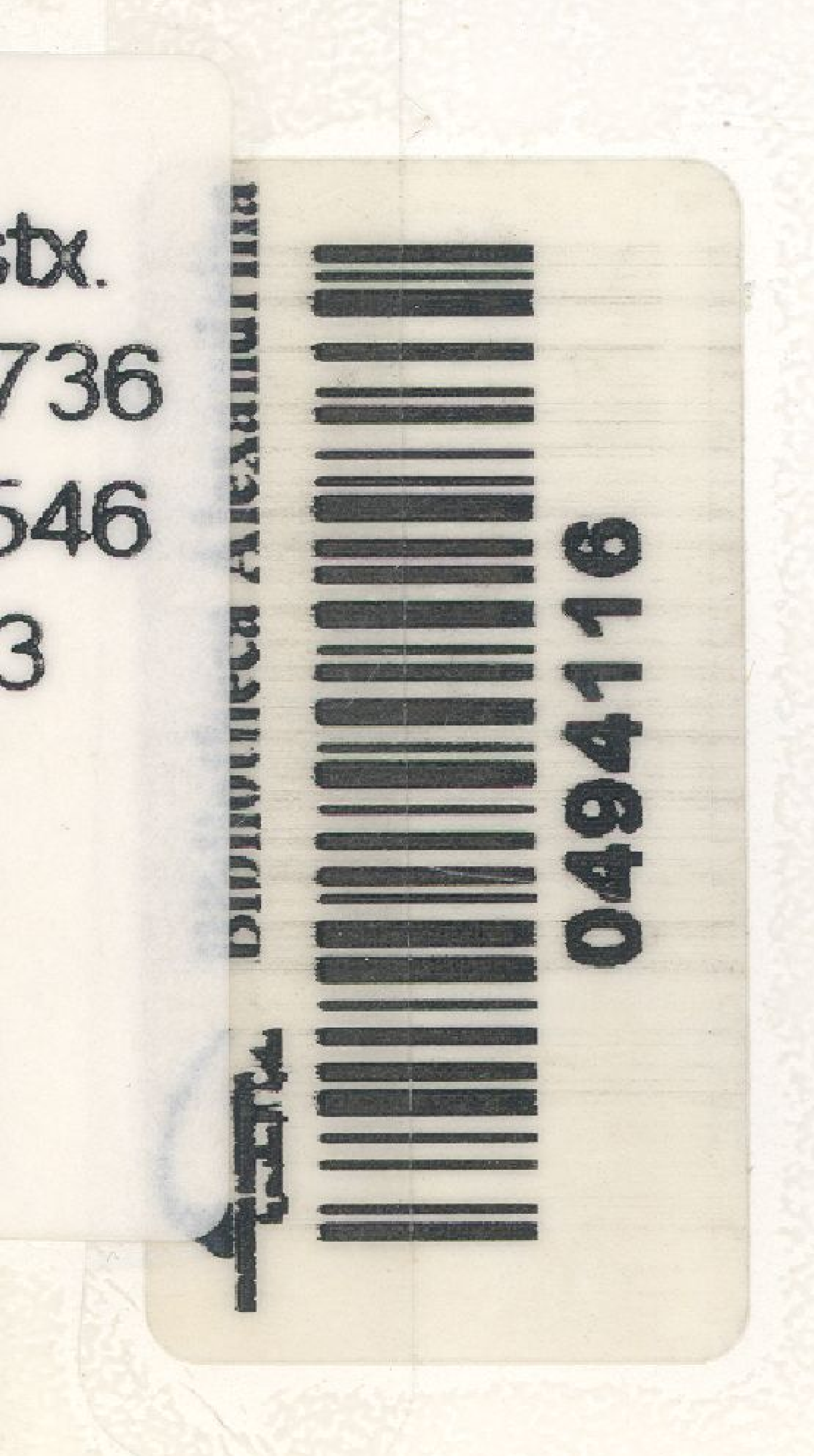
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٧٧٣٣ / ٢٠٠٠





أنا الآن فى منتصف العقد السادس من عمرى ،
الإسكندرية مازالت معشوقتى ، وطقوسى فيها على حالها عدا
إننى لا أدخل الآن شارع سوريا ، وأيضا ، حتى لاتتكرر
تجربة سقوط الزمان وسقوط المكان ، على جمالها ، فإننى
عندما أصحو من نشوتى هذه المرة سأكون على يقين بأنها
ليست هى بهية ، بل بالتأكيد ستكون حفيدتها ، يومئذ عندما
أرى قرص الشمس على حافة الماء فى نهاية شارع سوريا
سأعرف بأن الشمس إلى مغيب .





٢٠٠٠